دنيـــا

قصة - الجزء الاول

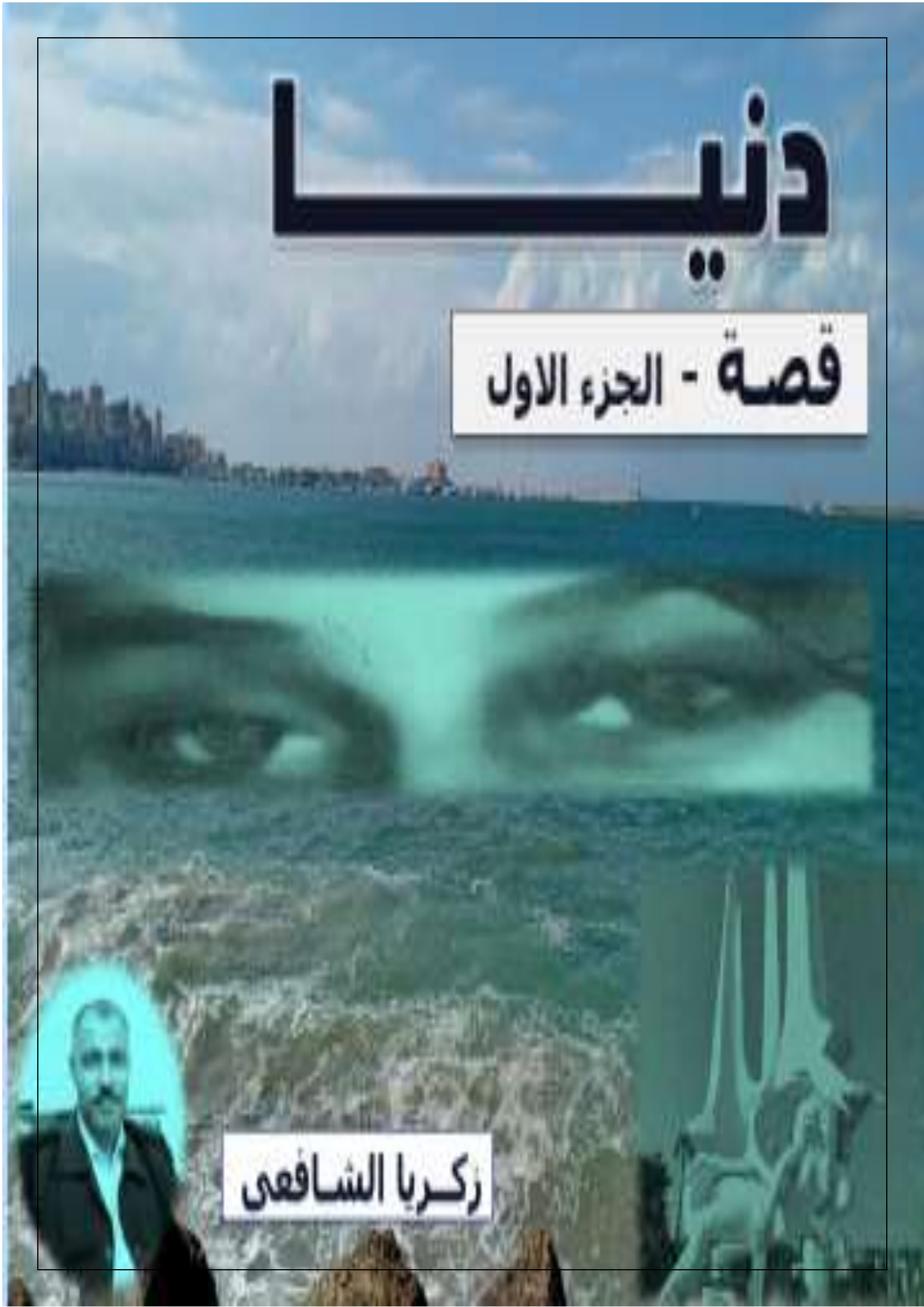

زكـريا الشـافعى

القراء الاعزاء :هذا العمل هو خيال محض لاوجود له فى الواقع وكل شخصيات واحداث القصة هى شخصيات من خيال الكاتب وان اى تشابه بين ماكتب واحداث او شخصيات واقعية هو امر لانملكه ...

اهـــــــــــداء .

الى هؤلاء الين يحيون الحياة يوما بيوم يكابدون مشاقها ويعانون مرارة الحرمان والفقد لكنهم مع ذلك يبتسمون ويواصون ويحيون .. الى الاباء والامهات والى هذا الجيل من النشء الطامح لغد مشرق .

(١)

صرخت الام فى وجهها وهى تشير باصبعها مهددة ثم بكفها كانما تغلق بابا ،

اسمعى يابت انت – انا مليش دعوة بيكى ! " تتجوزى ماتتجوزيش انا مالى ...تعنسى تتحرقى بجاز وسخ مليش دعوة " .

ثم راحت فى قائمة طويلة من لعن وسب كل مايتصل بها منذ يوم ولادتها . ذلك اليوم الاسود الذى لايقل سوادا غن اليوم الذى تزوجت فيه ابيها ...

كانت "دنيا " تسمعها وهى صامته مطرقه يخلو وجهها من اى تعبير الا طيف ابتسامه باهتة و نظرة عين لامبالية

ثم قفز صوت الام على ايقاع اعلى ، ووتيرة اكثر حدة "انت عايزه ايه يابت " ... "بتبغددى على ايه ياروح امك ... هه ... سرايه ابوكى على المالح .. وهى تشير باصبعها " ... انتى معووجة على اية ...

" نفضت الفتاة ثيابها وهبت كمن لدغتها عقرب وضعت عباءة على جلابية البيت وجمعت شعرها بشىء ما فتركت هذا الذيل من شعر ناعم غزير اسود كالليل يتدلى على ظهر ممشوق .... شاهدتها امها وهى تتجة الى الباب " رايحة فين ؟! "
- رايحة اجيب فطار ياما ... سم ياما ... عشان تترتاحى منى ..!

فى شارعهم توقفت عند سعيد المكوجى ، سألته عن حال ابنته الصغيرة كان قد قال لها بالامس انها مريضة . مرت بمصطفى الميكانيكى فى كرسية امام الورشة وهو يدخن شيشيته.. الحجر الاول قبل ان يبدا يوما طويلا لاتتقطع انفاس الشيشة فيه .كانت هذه اصطباحة اليوم . بادرها حتى قبل ان تلقى عليه تحية " ياصباح الورد .. صباحنا فل بالصلاة على النبى . ".ثم لوى عنقة يتابعها وتكاد عينية تاكل كعوبها البيضاء المرمرية التى زادتها العباية السمراء تالقا ... حتى ابتعدت ليعتدل فى جلستة ويفرغ الدخان الساخن المحبوس فى صدره

اخرها بائع الفول متعمدا .. قال اصبرى وهو يغمز لها بعينية حاعملك فلافل مخصوص ...!

وقفت بدلال وهى ترمق الواقفين الذين رموها بنظرات غيرة خاطفة ....فردت على كل العيون بنظرة نارية من حواجب معقوصة مرسومة بالحديد والنار ! .... فطأطأ الجميع .

فى طريق عودتها الى البيت وهى تحمل قرطاس الطعمية الذى يشع اريجه من بين يديها وهى تتهادى فى مشيتها وقد التقطت طرفا من العباءة فاستدار خصرها ...

تبسمت حين تذكرت صافرات شباب الجيران حين اعتلت خشبة المسرح الذى اعد فى الشارع الاسبوع الماضى فى فرح "سولى" او سوسن جارتهم على سعيد الطباخ يومها رقصت فجن جنون الشباب واشعلت جذوة نار كانت كامنة فى عروق خط الشيب فى رؤوس اصحابها خطوطا ومصمصت النساء الشفاه ...وعيونهن تأكل هذا الجسد الذى راح يتلوى فى ايقاعات تتلاقى مع دقات الموسيقى الصاخبة التى يهتز لها كل شىء

همست واحدة لجارتها ...

– جبتوا رقاصة ليه بقة ؟ ! ماهى ..

كادت تهز راسها طربا حين تذكرت ... كادت فى فرط نشوتها تصطدم به عند باب البيت بهتت حين راته .مصطفى

" السلام عليكم " .... ومر كالهواء
- " وعليكوا السلام " ... اجابته بعد ان كان قد وصل الى نهاية الدرج !!
حركت فمها من اليمين لليسار ....واكملت صعودا وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة .....نظرت الى قرطاس الفلافل فى يدها وودت لو امكنها ان تقذفه به .

- " كبه ... معووج على اية ؟ " وكانها تذكرت امها فعادت الى صعود درجات السلم المتآكل

.مصطفى البرنس ."البرنس " اسم التصق به من لحطة ان اطلقه علية احد اصدقاءه حين استطاع ان يوقع في حبه احد اجمل فتيات الإسكندرية ساكنة زيزينيا وابنه احد كبار التجار فيها راه صاحبة حينها .
- عليا التعمة برنس .. برنس برنس يعنى !

هو ابن الجيران في هذا الحى الكادح المتوراى في عشوائيات هذه المدينة الصاخبة . إبراهيم البرنس الفتى الوسيم ، الفالنتينو، الدون جوان صاحب الجديد فى الموضة والتقليعة الذى كان يعاكس طوب الارض .ابوه ابراهيم عبد الجواد رجل عركته الأيام وطحنتة . واحد من هؤلاء الكثيرين الذين يحيون على هامشها . يعمل بالوحدة الصحية موظف بسيط ليس له الا هذا الراتب الضئيل الذى لايسمن ولايغنى من جوع ، خمسة ابناء فى مراحل التعليم المختلفة .فقط البنت الكبيرة التى تكبر مصطفى بعامين اختصرت الطريق بعد ان رسبت مرتين فى الدبلوم فتزوجت من احد اقاربهم فى بلدتهم فى الريف كان رجلا يكبرها بعشرين عاما ،، وافق ابوها ووافقت هى لترتاح من شظف العيش ولتضع عن ابيها بعض حمله الثقيل . الفتاة ادركت ببساطة انه لابديل امامها الا الزواج . فليكن ، انه الفرار من هذه المعيشة الصعبة التى تحياها فى دار يحيا كل من فيها على هامش الحياة .لاتكف امها عن الشجار مع ابيها . ولايكف الرجل البحث عن اى شى يجلب له بضع جنيهات اضافيه .. كان يبدع في استخلاص الجنية من جيوب المترددين على الوحدة ،كيف يناور ويحاور ويقنع .. موهبة لايمتلكها الا القليل .. ! يقول هذا بفخر.. لقد اتفق مع صاحب ماكينة التصوير ان له نسبه من كل زبون يصور ثلاث نسخ من الاوراق التى لاحاجة الى تصويرها اصلا .....

****

*

*(٢)

لااحد يعرف اسم على المغربى فقط "السالك" ، السالك هو الاسم الذى يعرفه به الجميع . رجل ذو مهنة اذا صح ان نسميها مهنة تجده فى أماكن كثيرة . قل ان تخلو مصلحة او هيئة بل قل مجتمع من مثل هذا الرجل . رجل يتوسط فى كل شىء واى شىء ليتم سواء بشكل قانونى او بغير ذلك . شهادة ميلاد بتاريخ اخر ، بطاقة شخصية لشخص هارب من قضية . رخصة مرور ربما لرجل لايجيد القيادة أحيانا تسجيل فى الشهر العقارى هذا غير اشياء اخرى كثيره اخطرها الهجرة ..

فى هذا المقهى البعيد فى منطقة لااظن ان احدا غير اهلها وساكنوها يعرفون بوجودها . مكان خارج اطار الزمان والمكان . عشش من الصفيح متلاصقة يجمع ساكنوها هذا الهم وهذا الفقر الفاحش بكل فجاجة .حين مر به الرجل بين هذه الاكواخ التقطت انفة رائحة شىء يقلى بالزيت ورائحة دخان شيشة تعب حشيشا . سعال طويل ممطوط . وصوت رجل يسب لزوجتة .. وامراة فى العقد الرابع من عمرها ترتدى ثوبا انمحت منه كل الالوان جالسة على باب عشتها مادة احدى ساقيها فى وقاحة وهى تتطلع اليهم بعينين مكتحلتين تفوح فيها كل رائحة تتخيلها .

هناك فى هذا المكان التقاه ... وتم الاتفاق .... عشرون الفا .

حوار سريع جاف ...كلمات كأنها تعليمات قاطعة بصوت اجش
- " عشرة قبل الكلام وزيهم يوم السفر .. وجدعنة منا ليلة ضيافة علينا . مش مسئولين عنك لو اتمسكت ،اكلك وشربك مع نفسك وبرضه يستخليل تخليك فى حالك " .

قالها الرجل ذو الوجة المتجعد والذى لم تفارق السيجارة طرف شفته الغليظة !

يوم السفر لم يبلغ اهله ... . قال انه ذاهب فى سفرية قريبة لبضعة ايام لمطروح وكانوا قد اعتادوا على ذلك . فهو قد يغيب ايام فى سفر فى اى مدينة مصرية . سافر بضع مرات وقضى اياما .بقى مرة اسبوعا فى اسوان مندوبا ليبيع بعض منتجات البويات واشياء اخرى ...

يمكنك ان تسميها اى شيء الا انها رحلة او سفر ... انها العذاب والموت والهروب والمغامرة والحلم ... ايام بنهاراتها ولياليها على صفحة مياة البحر الزرقاء بين امواج تثور احيانا فتجعل حياتهم فى مهب الريح وتهدا احيانا لتذكى مشاعر القلق والامل

تلقفتة مركب ايطاليه ودخل ايطاليا فى صندوق خشبى !

عاش فى ايطاليا فى مزارع العنب .. عاش متخفيا من كل شىء خائفا من كل سيارة شرطة ومن كل رجل امن او زى رسمى مضت الشهور وهو يحيا حياة كلاب الشوارع . كان دوما فى حالة تأهب وقلق . عاش اياما ينام ولاينام ، يترقب كل شى ، و كالثعلب يحذر كل شىء . يتجنب الشرطة وكل مايمكن ان يسبب مشكلة مع السلطات . عاش اياما لايجد مايسد جوعه .بحث فى الاماكن كلها عن عمل . عمل يصلح لشاب لايعرف عن لغة البلد

شيئا ولايملك حق الاقامة . اى ضياع هذا الذى القى نفسه فيه !! لكنه ابدا لم يفكر فى العودة .. اعتبرها كرامة .. نفسه تأبى علية العودة .العودة كانت تعنى الفشل . كانت تعنى حياة لاامل فيها .ومستقبل ليس فيه بارقة امل ، كانت عودته تعنى عودته الى حياة كان يكره كل شيء فيها . حتى تلك اللحظات السعيدة التي كان يفرح فيها بشبابة الغض ووسامته التي فتحت له ابوابا مغلقة .لكن كل شيء ظل كما هو محلك سر ! لا لن يعود انه يكره كل تفصيلة في هذه الحياة التي عاشها ... شيئا واحد فقط كان يضيء قتامة ايامه وعتمة غده ، شيئا واحد فقط يرسم وميض ابتسامة و فرحة حقيقية على وجهه .. هى ..... كانت هى الشيء الوحيد الذى انتزعه من قلبه انتزاعا وتخلى عنه وهو مجبر .

ولانه يحمل هذه الجينات العبقرية فى المصرى حين يكون خارج بلده . هذه الجينات التي يقتلها الروتين فى بلده ويغتالها الفساد احيانا كثيره .. كان بعدما قضى عاما كاملا يتنقل فى المزارع الايطالية وفى المدن الصغيرة فى الجنوب وفى الغرب قد اكتسب الخبرة وعرف ماينقص اهل باليرمو وضواحيها ومايحتاجة سكان القري المحيطة كان يعرف ان سوق الاثنين فى مدينة كذا يفتقر الى أشياء ويعلم ان ماتستهلكه وماتحتاجه المحلات طوال أيام الأسبوع كل يوم سبت وفى المناسبات واستطاع بماتعلمه من إيطالية خلال عام التشرد ومن سابق خبرته في المبيعات ومهاراتة في الاقناع مهارة ورثها عن ابيه وهبه منحتها له الاقدار . استطاع ان يبيع كان ينام فى السيارة التى تقلة من بلدة الى بلدة ومن مدينة الى مدينة ..

صاحب هذه المراة الايطاليه كريستينا. . لكن على عكس مايمكن ان يخطر ببالك فهى لم تكن بجمال بنات الازورى ذوى العيون الزرقاء والشعر الاصفر الذهبى والقامات الممشوقة .كانت اله تعمل وماكينة لاتتوقف عن صنع المال ...كانت تتاجر فى كل شيء . لكنها كانت امراة وكان هو شاب يفيض حيوية ... اختلطت مياة النيل بالمعكرونة . حرارة الشرق وانفتاحة الغرب ،شمس مصر الفتية سطعت على برج بيزا . شيئا اشبه بالزواج ! كانت تكبره بعشر سنوات كانت هى صاحبة المال والعلاقات ، وكان هو العقل والقرار .

سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة استطاع فيها ان يجعل من هذه الشراكة شركة ومن هذه المزرعة الصغيرة اسما وتجارة .تجاره ازدادت وازدهرت الى حد احتاج فيه الى عمالة تساعده ... لم يعرف للاستمتاع ولا للراحة طعما . لكنه استمتع بمكاسب وعلاقات وعقود عمل تدر علية الاف الليرات ... ثم بدا عمله الخاص به .اراد تجارة لنفسه واستطاع وسط هذا السوق الخصب ان يبتدع تجارة كان مكسبها خالصا له . حينما عرفت كريستينا لم تهتم للامر كثيرا فقد كان يعمل لها باخلاص وكان يدير لها تجارة ناجحة تدر عليها ثروة .

كان يسمع عن مافيا ورجال اقوياء يعملون فى الظل يفرضون قانونهم احيانا . لكنه كان يحلق بعيدا حتى اتاه ذات يوم احد رجال كلاوديو مارتينى العجوز الاخطبوط ..المافيا الحمراء .

.....

(٣)

فقعت أمها بالصوت الحيانى حين اخبرتها انها فسخت خطبتها مع عمر .. لم تسالها عن سبب .. فقط انهالت عليها بسيل وافر من السباب ..

ردت ببساطة حينها " لايناسبنى ! " .. كان يعمل سائقا على احد هذه السيارات السوزوكى الصغيرة التي تمرق بالركاب المكتظين داخلها . فقط لتحملهم من أول الشارع حتى اخره .. كان يكسب شيئا يلبسه هذا القميص المزركش والحذاء الماركة ، وبين الحين والأخر علبه سجائر مستوردة ... لا لم يكن هذا يعيبة فهى مهنة الالاف .. لكنه لم يكن ببساطة رجلها .. اعطنة الدبلة ذات يوم كان يصطحبها في مشواره المتكرر بزبائنة .عند اخر الموقف وضعت الدبلة في يده ونزلت بهدوء . .... !!!

قررت ان تعمل .لم تكن فرص العمل المتاحة لها كثيره فهى لاتملك مؤهلات اومهارات . تنقلت في العمل بين عدة أماكن . حتى استقر بها المقام عند طبيب اسنان كانت تكتفى في البداية فقط بالرد على التليفون وحجز التذاكر ! حلت محل امراة كبيرة رافقت الدكتور في رحلة عمله الناجحة سنوات عديدة لكن يبدو انها لم تستطع ان تواصل كانت العيادة فعلا لاتخلو من مرضى . كان الطبيب رجلا متفانيا في عمله .علمها فاصبحت في بضع أسابيع تجيد بضعة اشياء وتفهم دورها كما لو انها قضت فيه سنوات.
تردد سعد الميكانيكى على العيادة عدة مرات .. . ولم يجروء على الحضور بعدها بعد بضع كلمات ونظرة حديدية تقدح شررا ...

دكتور خليل رجل تركت زوجته مصر وهاجرت مع ابنتها من رجل اخر . عاش هو وحيدا بعد فشل زيجة أخرى له مع زميلة دراسة قديمة وشراكة عمل ....

جاء العريس .. هذه المره عائدا من دول البترول ..رجل فاحش الثراء . يريدها بشنطة هدومها .. يصرف من جنية لالف بل لمئة الف ...يقدر على فتح بيتين وليس بيتا واحدا . متزوج باخرى نعم .. لكنه رجل .. له مثنى وثلاث ورباع وهو قادر .. والرجل لايعيبة الا جيبة هكذا قالت سعاد العمشة زوجه سعيد البواب في برج المقدسى امام حدائق المنتزة البرج الذى يملك الرجل فيه شقة يرمح فيها الفرس ....

ذهبت الام الى المشايخ أولا طافت بضريح ابو العباس المرسى والبوصيرى واوقدت الشموع ووضعت بضع جنيهات فى صندوق النذور فى الست نعيمه فهى على يقين ان بنتها معمول لها عمل .. !سحر .. .... والا فكيف تفسر انها لم تتزوج حتى الان وكل بنات الشارع الأقل منها جمالا تزوجوا و صار لبعضهم أطفالا .. ! وراحت تبخر الشقة وتبلبل أركانها بالماء الذى أعطاه لها الشيخ ابو الوفا بعد ان لهف ٣٠٠ جنية وهدية زيارة .. ..

وصدق من وصف سعاد بانها عمشة فلم يكن في عريس الغفلة اى ميزة الا ماله الذى اطلق فيه هذه الجرأة العجيبة ليبحث عن زيجة أخرى . يومها كانت كالنمرة الثائرة لقد كالت له الكلمات حتى احمر وجه الرجل واصفر وغادر وهو يلملم ثوبه الفضفاض ويعتصر سبحتة اللامعة في يده !

-هذه المرة صرخت في أمها : عايزه تبيعينى ياما !

بكت أمها بحرقة وعجز من اعيته كل السبل . بكت خيبة املها في ابنتها التي خاب حظها . وبكت حياة بائسة تجرعت مرارتها مع اب كان يعمل يوما ويبقى أسبوعا بلا عمل .. وراحت في نوبة بكاء ونشيج .

****

*(٤)

يادكتور خليل حضرتك باين انك تعبان ممكن تريح انهارده ! -
-لا لا انا بخير لما اشتغل حاخف !

دكتور خليل عبد الهادى منصور السواركى الأول على دفعته أطباء اسنان ١٩٦٨... دفعة المتزوجون .. سموها المتزوجون تجاوزا لان كثيرا من بنات هذه الدفعة تزوجوا في اثناء الدراسة . ابوه هو السفير عبد الهادى منصور السواركى سفير مصر لسنوات في عدة دول . رجل قيمة وقامة سليل عائلة من العائلات التي نجت من قانون الإصلاح الزراعى الذى فرضتة الثورة على حيازات ذوى الاملاك الكبيرة من الاراضى الزراعية . لقد فعلت العائلة كما فعل الكثيرباعوا على الورق لابنائهم وأبناء عمومتهم . نجت عائلة السواركى من كابوس نزع الملكيات وتأميم الاراضى والمصانع التي اودت بكثير من العائلات وتركت جرحا غائرا عند البعض . كان الاب يسافر بمفرده ،لم يشأ ان يكابد أولاده البعد عن الوطن ليكونوا بجواره ورغم هذا البعد الا ان الرجل كان قريبا من أولاده لطبيعته السمحة . فكان يوم عودته من سفرياته المتكرره عيد وفرحة ودفء المشاعر التي يحياها الأولاد في بيت مستقر تطوف بين جنباتة المودة والحب . الاولاد الثلاثة نشأوا عصاميين .حياتهم هي الدراسة والرياضة. الابنة الوحيدة كانت ضمن بطلات الجمهورية في السباحة هي الان تحمل دكتوراة تحاضر فى بضع جامعات اوروبية وممثلة لهيئة الامم المتحدة فى احد اقسامها تقيم بصفة دائمة فى الخارج خاصة امريكا . الأخ الأكبر خيرت رجل اعمال ناجح يدير عدة مشاريع وعقارات بعضها خارج مصر .كان خليل اصغرهم كان نهما للقراءة والمعرفة تضحك والدته وهى تمازج اباه : ابنك ده قرا الكتب دى مرتين وتشير الى مكتبة الوالد الضخمة .. قريت كام كتاب ياسيادة السفير ؟! ضحكة حلوة كانغام البيانو الضخم في مدخل البهو الكبير للفيلا الرائعة في مصطفى كامل .... سرعان ماشق الفتى الذكى القارىء سليل هذ العائلة التي تحمل النبوغ في جيناتها طريقة ليصبح طالبا في كلية طب الاسنان ...حين تخرج تزوج من زميلة تكبره بعامين كانت طليقة احد اساتذته في الجامعة !!

لم ينجب الرجل لكنه عاش حياة وفيه لزوجتة التي عاشت في براح العيش الذى وفره لها دخل جيد للدكتور خليل من ميراث ابيه وبعض اعمال ناجحة شارك فيها اخوه وبالطبع عياده وعمل اخلص الرجل فيه واعطاه من جهده ووقته . حتى صار علما في المدينة الساحلية . هذا المركز الطبي العملاق في قلب المدينة " فاروس دنت سنتر ".
حين اهملته الزوجة وراحت تطوف العالم مع ابنتها كان قد حسم امره وكان لابد مما ليس منه بد . انه الطلاق الذى كان واقعا فعلا . الطلاق الصامت الذى كان يحياه معها والحياة الجوفاء الفارغة التي كان يعيشها . يقتل وقته بالعمل . يعوض برعايتة للناس مايفتقده من الرعاية

والحنان من اقرب الناس اليه . يكسر هذه المقولة الخاطئة "فاقد الشىء لايعطيه" . لا... الحقيقة ان فاقد الشىء يمكن ان يعطيه بل ويجزل العطاء .
حين تزوج للمرة الثانية كان زواج البيزنس لكنه أيضا زواج ... هو زواج حتى وان جاء من هذا الطريق .. هذه المسميات عن الزواج "زواج صالونات " زواج عائلى " زواج مصلحة " هو في الأخير زواج وتقوم عليه غالبا بيوت ناجحة وتنشا اسر .. ماالعيب في زواج البيزنس ؟ ألسنا بشر تتحرك مشاعرنا بالالفة والود وطيب العشرة ؟. أقول غالبا .. نعم غالبا ولكن ليس دائما . عند اول منعطف ظهر البين الشاسع بينهما .الاختلاف الكبير .الفرق الواسع ... انتهى الامر بالطلاق وتسوية جاءت بالخسارة التي ارتضاها الرجل فقد باع هو نصيبه من هذا المركز الطبي الناجح واستاثرت هي به بعد ان وجدت شريكا اخر !!

كررت كلمتها : يادكتور حضرتك باين انك تعبان ممكن تريح انهارده !

لا لا انا بخير وأشار بكف يده ...

بعد ثالث كشف خرج ليعتذر للجالسين في الانتظار فقد كان لايتحمل الوقوف وحينها بالضبط سقط على الكرسى المجاور مغشيا عليه ..

****

(٥)

كان وميض كاميرا المصور يبرق بين الحين والأخر لمواضع مختلفة للجثة والمكان . اثنين من ضباط المباحث وبضع رجال شرطة بزيهم الأبيض ورتبهم النحاسية اللامعة يجوبون في صمت انحاء الشقة الفسيحة باحثين عن اى اثار لاقتحام الشقة ٢٠٢ فى الدور الرابع في برج "المقدسى" المواجه لحدائق المنتزة .

وراح احدهم في صمت يدون بضع ملاحظات ثم انحنى فالتقط بطرف اصابعة المسبحة اللامعة التي كانت يد القتيل مطبقة عليها ! ثم ابتعد وهو يشاهد بعينيه خط الدماء التي امتد من اسفل راسه حتى قريب من باب الغرفة الفسيحة .وبضع زجاجات خمر احداها ممتلئة حتى قبل نصفها . لمسها الضابط بطرف اصبعه ودار حولها يبحث عن شيء بوميض بطارية فى يده ... ويبدو انه لم يجده !

انتهى الطبيب الشرعى ومعه الضابط المختص من فحص الجثة واخذ العينات من المكان وتجول ببصره في المكان ..واخيرا وقف امام النافذة الفسيحة المطلة على حدائق المتزة وراح يحدق في المدى البعيد وهذا البساط الأخضر الجميل الممتد من الأشجار الوارفه المتنوعة ...
وقفت سعاد العمشة ترتعش وهى تدلى باقوالها لضابط المباحث الاخر .ثم انتفضت صارخة في فزع حين مر رجال الإسعاف بالجثة امامها بعد ان انتهى الضابط والطبيب من فحصها وامر بها الى المشرحة !

قالت سعاد العمشة للضابط ماحدث ومالم يحدث .. وهى امراة تتكلم بسرعة طلقات المدفع الرشاش لم تكن في حاجة الى أسئلة الضابط لتجيب . حتى ان الضابط نهرها وامرها ان "تجاوب على قد السؤال " .

وبعد ان نزل على السلالم راح ضابط المباحث الخبير بعينين كالصقر يبحث عن شىء حتى هبط الى مدخل العمارة الفاخر ثم توجه نحو غرفة الحارس ... - البواب سعيد صقر زوج سعاد العمشه – وهناك اشتم رائحة دخان تبغ فى الغرفة الصغيرة يصعب اخفاؤها تجول بعينة فى المكان ووقعت على الشيشة فى زاوية الحجرة الضيقة ..حينها قرر ان يصطحبه معه الى القسم لاستكمال التحقيق هناك !

****

(٦)

عاد فى المساء الى المنزل الفسيح على اطراف مدينة نابولى الرائعة . المدينة تذكره بالاسكندرية معشوقته . مدينته التى يعشق شوارعها وميادينها والاماكن الفريده فيها .. هذا المكان الذى يشبة حدائق المنتزة .عند اطراف المدينة توقف بسيارتة قليلا ووقف يحدق فى المكان ومر شريط من ذكريات مضى عليها سنوات ...
كانا قد اتفقا على ان يتقابلا بعيدا عن الاعين هناك فى اقصى شرق المدينة الساحرة التى جمعت كليوبترا وانطونيو . احدى البقاع الساحرة الهادئة حدائق تفيض خضرة وجمالا . يختلى فيها العشاق بعيدا عن الاعين . كانت كاحدى ملكات الاغريق جميلة حتى تغار الشمس منها غضة شابة تفيض اشراقا وحيوية كان ينظر اليها ويتسم . تعجبه هذه التسريحة .هاتان الغمازتان فى الوجه القمرى ،هذا الجبين المضىء فو ق عيون اسرة الجمال . يعجبه هذا الفستان الذى يعرف انها ترتدية من اجله لانها تعلم انه يحب هذا اللون كانت فتاته جريئة وودودة ، حنونة وعنيده...تثيره بجرأتها ...تجعله يغار . كانت جرأتها وهى تقتحمة بعينيها تأسره وتملك قلبه وحدها . كانت هى هذا الاستثناء الحقيقى فى زيف حياته العابثة . كان يحرص عليها يهتم بها حقا يحب ان يسمعها تذوب امامها كل مهاراته فى الكلام فيصمت فقط ليسمعها تتكلم .. استطاعت ان تجمع فى داخلها الشىء وعكسه لكنها كانت تاسره .. .. ومن اجلها فقط استطاع ان يتخلص من كل علاقاته الوهمية .. ترك هذا الزيف . تاب عند عتبات عينيها ... اصبحت هى فتاته ، شمس يومه وحلم غده ، سهر لياليه وضياء ظلام حياته. مازال عطرها المفضل يطوف ويعبق المكان كلما طافت به ذكراها " انيس انيس " كان كانما صنع من شذاها هى .احب هذا العطر كما احب كل شىء فيها ..فى عيد ميلادها اشترى لها خمس زجاجات منه! .دفع فيها ماادخره من عمل شهر .كانا يختطفان لحظات اللقاء يلتقيا بعيدا يتجولان فى شوارع المدينة فى اقصى غربها بعيدا عن الناس . فى برد ديسمبر وامطار يناير كان مشاعرهم تفيض دفئا وعشقا وكانت احلامهم تطال السحاب ... .. . تحدثا عن الغد ..... عن البيت الذى سيبنياه سويا .... عن الاولاد اختارا الاسمين سويا الولد والبنت .. كانت عيونها تعطيه الامل تجعل للغد فى حياته الصعبة معنى . كانت كلماتها الرقيقة تلملم جراحاته ومعاناته تمده بالقوه ليبدا غد جديد ... لم تكن كأى فتاة عرفها .كانت الوحيدة التى فكر فيها

شريكة حياة ورفيقة عمر ..كتب لها اهداءا على ورقة عملة اجنبية زوجتى الحبيبة ... ووضع في اصبع يده اليمنى خاتم فضة .

توقف عند منعطف "اونا تريا " قرب حديقة "كانيونى" اطفأ محرك السيارة واخرج المحفظة من جيبة . فى جيب سرى فيها التقط باصابعه صورة قديمة . صورتها ابيض واسود تكاد بعض تفاصيلها تنمحى مكتوب على الظهر "حبى لك عمرى لك " وحرف D بالانجليزية اول حرف فى اسمها ... ادار الصورة فى يدية ببط وراح يطالع هاتان العينين النجلاوين والجبين المشرق وكأن طيف عطر سرى فى المكان .عطرها ،اريجها وضحكتها الحلوة .ابتسامتها الساحره...تراكمت سحب كتبفة وازداد هطول المطر والثلوج وغامت الرؤية وترقرقت العين بالدمع ...

عاد للبيت دخل بالسيارة فى جراج البيت فقد كان الجو قارس البرودة حتى ان بعض الطريق وفناء حديقة المنزل كانت مغطاة بالجليد لم يجد زوجتة .. تركت له رسالة هى فى عمل هام ستعود بعد غد ... طبق الوريقة فى يده والقى بها فى السلة القريبة ....

احس بالجوع ... فتح الثلاجة الكبيرة وظل لحظة يجول بعينية فى هذه المعلبات المختلفة الاحجام والاشكال واصناف الاطعمة المغلفة .... التقط بيضتين وحبة طماطم بحث عن رغيف خبز مصرى فى الفريزر واعد لنفسة عشاءا ...
راح يتناوله ببطء وهو يقلب كلمات كلاوديو مارتينى فى راسه ... ان قرارا خاطئا قد يقضى علي ماانجزه بل قد يقضى عليه نفسه .
برقت السماء ودوى صوت رعد مزلزل ..

****

(٧)

كانت الساعة قد تخطت الثانية عشرة بعد منتصف الليل بقليل حين تركت ام دنيا مقعدها فى البلكونة حيث كانت انظارها القلقة مثبتة على مدخل الشارع من ناحيتة الشرقيه . وعلى عجل وبأصابع مرتعشة ارتدت عباءة سوداء فوق الجلابية الكالحة ووضعت على رأسها الطرحة الطويلة وخطفت يد ابنتها الصغرى وتوجهت الى عيادة الدكتور خليل حيث تعمل ابنتها .

وطوال الطريق الذى لايستغرق اكثر من دقائق عبرت طريق القطار وهى ترتعد خوفا سارت وهى تردد فى صوت قلق مضطرب ." يارب جيب العواقب سليمة ... اول مرة من ساعة ماشتغلت عند الدكتور تتاخر كده" .كان تعود بعد العاشرة بقليل فقد كانت مواعيد العيادة تنتهى فى العاشرة . احيانا كانت تتأخر ربما لنص ساعة على الاكثر .... لكن الثانية عشرة لا ..

- اكيد حاجة حصلت يارب سلم ..

كانت ابنتها الصغرى تسير بجوارها صامته . كانت كلما خلا الطريق من المارة تصب اللعنات على الزوج الذى لاتجده فى مثل هذه الظروف والحظ السىء الذى لم يبق لها ولدا ذكرا

تعتمد عليه يشكم اخواته البنات ! ثم على ابنتها العنيدة التى تأبى الزواج والتى اطارت العريس اللقطة الذى جلبته سعاد العمشة ..! ثم تجمل اللعن على الفتاة الصامتة السائرة بجوارها .
- ربنا ياخدكوا ويريحنى منكم ... يارب ! وقد كادت تتعثر فى الطريق وارتعدت خوفا حين مر كلب ضال بجوارها ...

حين وصلت ووجدت العيادة مغلقة كاد يغمى عليها ... جلست على السلم تكاد لاتقوى على الحركة .. انقذها من حيرتها احد السكان الذى اشار اليها بمكان شقة الدكتور وعرفها انه اغلق اليوم مبكرا على غير العاده ..

حين صعدت الى شقته فى الدور الرابع بعد مشقة ومعاناة امرأة فى منتصف الخمسين تحيا وتتعايش مع عدد من الامراض لاتتعاطى ادوية الا اذا اعيتها المعاناه وغلبها المرض ، فالدواء لمثلها رفاهية لاتملكها . وضرورة تجعلها الظروف احيانا اختيارا تسبقه ضرورات اخرى فتأجله او تلغية !

عند الدور الرابع واليافطة النحاسية القديمة التى علاها الصدا باسم الدكتور وضعت المراة يدها المرتعشة على الجرس
وبعد لحطة مرت كانها دهر . انفتح الباب ... كانت هي !
في هذا الصمت الرهيب دوت صفعة
.

****

(٨)

طارق بيه رئيس المباحث عايزك انتى وبنتك –
هكذا في هداة العصر وبعد ان انكسر قيظ ووهج حرارة نهار ملتهب من أيام شهر يوليو .
دقت الام صدرها بيدها و صرخت ... – مباحث !!
التحريات اثبتت انه كان هناك امراة فى شقه القتيل ربما ساعة مقتلة او قبل ذلك .
جلس ضابط المباحث يسال الام والبنت أسئلة طويلة متكررة مملة ومحرجة . استجواب استمر ساعات كان الضابط يقطع تحقيقه ليباشر امرا اخر عاجلا فيتركهم لساعات .. خلال هذه الساعات العصيبة رأوا عالم قسم الشرطة بكل تناقضاته وعجائبه ، هرج ومرج حين ياتى متهم مقبوض عليه محاط بصناديد واجساد نادرة الوجود وفى يدية الحديد ينهالون علية لطما وضربا بمجرد ان يعتلى درجات السلم الى القسم ،اقتحم القسم رجل في قفطان ابيض لم يجد الحرس عند مدخل القسم الفرصة ليوقفوه تحول ثوبه الى اللون الأحمر من عدة جروح ارتمى الرجل على أرضية القسم وهو غارق في دمائة وراح يصيح – الحقونى ياحكومة !

تشاجر المحجوزين فى الزنزانة وعلت اصوات صراخ وتحطيم !!

رات ذلك الرجل في بذلته الانيقة وحذاءه اللامع وهو يهبط من سيارة الشرطة او البوكس كما يسمونه . يسير بثقة يساعده المخبرون على النزول .يسير الى داخل القسم لكنه لايدخل حجرة الحجز !! رات احدى الساقطات يجرها العسكرى من يدها فتسبه باقذع سباب . لم يمر وقت طويل حتى سمعت صراخها على وقع ضربات الخيزرانة على الفلكة في الدور العلوى .

ارتعدت ! .حين استدعاها ضابط المباحث للمرة ربما الخامسة . انهارت أمها على الأرض تقبل حذاء الضابط وترجوه ان يتركهم ..! حين غادرت قسم الشرطة لم تقو أمها على المشى .
رأها خطيبها السابق بسيارته الصغيرة الأجرة كان فيها اثنين فقط اقسم ان يركبا ...لم تنطق بكلمة ...

لم يكن هناك بد !

في اليوم التالى كانت صامتة حزينة مذهولة محطمة كانت تنظر الى الناس والى الأشياء في العيادة بصمت ..

فى لحظة حزن وياس واحساس بالضعف بكت بحرقة وانهارت على صدره ... فاحتضنها ....

. فى هذا اليوم شعرت انها فى احضان رجل ..
مر اسبوع
تزوجها .

****

(٩)

بعد ان عاد من احدى جولاته فى نابولى وجلس لتوه ليضبط بعض حسابات العملاء فاجأته كريستينا بخبر هبط علية كوقع الصاعقة ! لم يكن في حسبانه شيء كهذا
انها حامل !!! . كان يعتبرها اى شيء الا ان تكون ام ولده ! لقد كان حريصا .... انه يتذكر ذلك جيدا ..
لعنها في سره الف مره وطافت به كل الظنون ..
اتفقا على اجهاض الجنين .. يومها استغرقت في نوم عميق وفاتها موعد الطبيب !

في المرة الثانية تعطلت السيارة .

في الثالثة حذرها الطبيب من خطورة العملية عليها ..كانت قد تخطت الأربعين ! بكت كما لم تبك من قبل .! تركت عيادة الطبيب ... قادت سيارتها واجمة ساهمة حتى وصلت الى البيت .
كادت شاحنة تسحقها على الطريق حينما لم تنتبه لاشارة المرور ..حين وصلت القت نفسها على اول كرسى قابلها وراحت في نوم عميق . حين عاد في المساء وجدها هكذا ... ايقظها ..

... اخبرته انها تريد هذا الطفل !!

قررت ان تحتفظ بالجنين !

تزوجها في مكتب محامى وثق زواجهما وكانت اول مرة يدخل السفارة المصرية فقط ليوثق أوراقه !!

الغريب انهم اهتموا لأمره ربما لانه رجل اعمال ناجح

احتضنته كريستينا بحب وقبلته في عينية حين ذهب معها الى الطبيب ليتابع الحمل .. لم تعد تغادر البيت الا نادرا !ا أصبحت تنتظر عودته ليأكلا سويا ، تتصل به على الموبايل الذى انتشر لتطمئن عليه وعلى عمله !! .. في المساء وامام شاشة التلفاز كان يجلس ليشاهد قنوات عربية .تتكور بجواره كالقطة وتضع راسها بهدوء على كتفة وتغمض عينيها . تفتحهما من وقت لاخر لتطمئن فقط انه مازال بجوارها . راح يتابع حوارا ساخنا لضيفى المذيع الشهير على التلفاز باللغة العربية . كان الصوت يتردد في ارجاء المنزل الفسيح غريبا لاينتمى لهذا المكان تماما مثله ليس ثمة شيء ينتمى لهذا اللغة في هذا المنزل ربما ماعدا هو فقط !.كان يبتسم وكانت تبتسم لابتسامته . كان الحوار شيقا ساخنا مرحا ... قهقه المذيع الجهورى الصوت وضيوفه بضحكات صاخبة عالية ضمت ضحكة نسائية انفلتت كزعروتة فى فرح ..

تغيرت كريستينا كثيرا !

****

(١٠)

تعجبت دنيا حين اخبرها الدكتور ان الفيلا الكبيرة في مصطفى كامل مازالت تملكها العائلة . عرفت ذلك حين رأته يدفع بعض المصاريف الخاصة بالكهرباء والمياه فيها ... حكى لها عن أيام طفولته فيها وذكرياته . وحين سألته لماذا لاينتقل للعيش فيها . قال شيئا مبهما ! فهمت منه انه لايريد ان يتكلم في هذا الموضوع .. وعاد الى الكتاب الضخم بين يديه .. تركته في هذا الركن الخاص به وراحت تدير القنوات العديدة علها تجد شيئا مسليا !!!

نصحتها أمها . هاتى لك منه حتة عيل ، المال ده كله حيروح فين !

وقررت الا تعود وقررت ان تمتلك . كانت تعرف مفاتيح الرجل . استطاعت ان تملأ عليه فراغة الذى كان يحاول هو أن يملأه بالقراءة ولحظات التأمل الطويلة التي كان يقضيها مع زراعات الصبار المتنوعة العجيبة التي امتلأت بها الفرندة الفسيحة وشرفات النوافذ . كانت تستطيع ان تشعل ثورته وتوقظ الرجل الكامن في اعماقه ..كانت تعرف انه دنياها التي ابتسمت لها وحياتها الجديدة التي لاتحتمل التفريط فيها .. حين خرجا سويا في ذلك اليوم كانت قد ألبسته هذا القميص الجديد بيديها ووضعت على شعره الناعم الكثيف شيئا رد عليه عشرين عاما من عمره . وهناك في مطعم السمك الشهير عند اطراف المدينة تناولت لأول مرة هذه الإسماك التي كانت تسمع عتها .. كان ينظر اليها ويبتسم فقد كانت تأكل بشراهة .. سألها عن الغمازتين على وجنتيها حين امتلا فمها بالطعام فضجت بالضحك . تعجبه حتى في عفويتها وانطلاقتها كانت هي على طبيعتها لا تتجمل ..
سهرا هذا اليوم حتى قبيل الفجر وطافا كورنيش المدينة الساهرة الساحرة في الليل بسيارته . حين خرجا سويا في المرة الثانية كانت قد انتزعت منه وعدا ان يريها الفيلا في مصطفى كامل وحين وقف بسيارته امام الفيلا خرج الحارس ينظر بعين متشككه . وسرعان ماتهلل فرحا حين تأكد ان من بالسيارة هو الدكتور خليل يشحمه ولحمه وزوجتة الشابة .
ياتلتميت مرحبا يادكتور . اهلا ياست هانم ! -

سمعتها لأول مرة كانها أصبحت ملكة متوجة او اميرة في قصر الملك .. "ست هانم " .... -
بعد حديث جانبي سريع مع الرجل الذى لم يخف دهشته من طلب الدكتور الا انه اسرع بتلبيتة فاخرج سلسلة مفاتيح كبيرة وسبقهم جريا الى المبنى الذى كان لايبعد كثيرا عن البوابة الحديدية الضخمة .كان الدكتور صامتا وكانت تتواثب كالطفل من غرفة الى غرفة ومن البهو الى درج السلم وتساله السؤال تلو السؤال ولاتنتظر ردا . وقفت عند باب مغلق صنعت بيدها وابتسامة عينيها علامة تعجب .
أشار اليها ب لا .
ذكرته بوعده وطبعت قبلة على وجهه ..
حين رجعا الى البيت كان يوم عرس جديد ...
وحدث .. فبعد شهر عرفت انها حامل ..

****

(١١)

في زحام المدينة لا يهتم احد . تضيق المدينة وتتكدس شوارعها في الصيف بالمصطافين من كل محافظات الدلتا هربا من صيف شديد الحراره . يهرع الناس على مختلف طبقاتهم الاجتماعية الى الإسكندرية بدءا بهؤلاء الأغنياء وميسورى الحال الذين يمتلكون مصيف او شقة خصصوها لبضع شهور الصيف الى هؤلاء الذين اقتنصوا يوما من حياتهم ليقضوه على الشاطئ في رحلة اليوم الواحد . تكتظ عمارات بأكملها باهلها وتموج نشاطا وحركة وتزدحم شوارعها بالسيارات وبالكاد يمكنك ان تجد مكانا لسيارتك ، يحتل الباعة الجائلين كل الأرصفة وكل النواصى ، تفترش الرصيف كل بضاعة يمكنك تصورها بدءا مما ياكله الناس وانتهاءا بما يلبسونه في ارجلهم ! تسهر المدينة للصباح تشتعل نورا ونارا ...

في الشتاء وفى جو المدينة الممطر عادة تعود هذه الشوارع والبنايات حين يرحل عنها أهلها الى سكونها المعتاد . تتكمش في عزلتها حين تظلل المدينة غيوم المطر ، توصد الأبواب وتخلو شوارعها الا من مواء القطط الضالة ..وعبث الرياح فى الشوارع الخالية .

وفى الشتاء أيضا يموج نهار الاسكندرية فى اماكن اخرى حركة ونشاطا فعلى شوارعها الممتدة من الشرق الى الغرب يتسابق الجميع الى أعمالهم . الوف من الموظفين والعمال وطلبة المدارس تكتظ بهم كل أنواع الحافلات تعدو بهم من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق في رحلة يومية . قطار المحافظات يحمل الاف من الموظفين والطلبة من المدن المجاورة للاسكندرية دمنهور وكفر الدوار وغيرها . حركة لاتنقطع ابدا حتى في أيام الاجازات !!
وقطار المحافظات الذى يحمل جرائد الصباح يحمل معة أيضا الاف القادمين الى أعمالهم .
الكل مشغول بامر نفسة وبلقمة العيش التي أصبحت صعبة المنال لهذه الطبقة الكادحة التي تحيا على هامش الحياة !

استجوبت النيابة الجميع بحثت في كل من لهم صلة بالقتيل استوفت التحريات والتحقيقات واكتملت الأوراق بذلت النيابة مافى وسعها تبدلت الأسماء وانتقل ملف القضية من يد الى يد وأخيرا لم يعد هناك بد قيدت الحادثة ضد مجهول .

كان قد مر عام حين غادرت سعاد العمشة وزوجها البرج ..تركته بعد وقت قصير . لايعرف احد اين ذهبوا .

ولم يهتم احد فالكل مشغول بامر نفسة بلقمة العيش التي أصبحت صعبة المنال !

لايعرف احد ان كانوا قد عادوا الى بلدتهم التي لايتذكر احد اسمها في غياهب الأرياف .. او انتقلوا للعمل فى مكان اخر .. نعم فان حادث مقتل الرجل وماحدث لهما لايشجع على البقاء ..

المدينة لاتفتقد أحدا .. فالقادمين دوما اكثر !

وهناك في اقصى غرب المدينة انشأت الدولة حيا جديدا واستصلحت اراض . حى ومدينة في برج العرب . كانت ارض جديدة يتم استصلاحها وموجة من شراء الاراضى المستصلحة التي توافرت وتوافر ليس ببعيد عنها عدة مشاريع واعدة لتربية الأسماك والمزارع السمكية . عند مكتب المحامى الشهير في ميدان عرابى وفى حجرة فسيحة تطل نافذتها العالية على نصب الشهداء الرائع بأعمدته المرمرية وطرازه الايطالى وبحضور صاحب الأرض والذى يمكنك فقط ان تسميه اللواء .نعم سيادة اللواء اسم في حد ذاته .لقب يحمله صاحبة حتى وان غادر الدنيا جهز المحامى الأوراق ، وتم البيع . دفع المشترى الحاج سعيد البحيرى مبلغ الأربعة ملايين واربعمائة الف عدا ونقدا واشترى الأرض بما عليها من مزروعات وبمافيها من مبان وبما عليها من انشاءات في صفقة رابحة وفرصة لن تتكرر !

بعد قليل وفى عجله من امره كان الحاج سعيد بجسده القصير المكتنز يهبط درجات السلم في المبنى العتيق بجلبابه والعباءة االسوداء الفاخرة التي جمع أطرافها بين يدية ليتمكن من النزول . قفز السائق من السيارة المرسيدس اللامعة ليفتح له الباب .فى داخل السيارة وعلى مقعدها الخلفى الفاخر ازاحت سعاد العمشة النظارة الشمسية السميكة من على وجهها واستدار جسدها المكتنز ناحية الحاج سعيد .

هه خير ياحاج عملت ايه .

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة وادار السبحة في يده .

خير .. اطلع يابنى .

****

(١٢)

تشعل الغربة المشاعر تؤجج نيرانها وتكوى أهلها ، تحطم قلوبا وتكسر نفوسا .. مشاعر لايعرفها الا من ذاق مرارة الغربة والبعد والعيش بين أناس غرباء لا يعرفهم ولا يأمنهم . بعض الناس تقتل الغربة فيهم احاسيس ومشاعر وتدفن في قبور ضلوعهم الما يحيون به في داخلهم يتنفسونه ويشعرون به في نبضات قلوبهم وخلجات نفوسهم ..

راى طفله الصغير يحبو امامه يتعلق بقدمية ينهض على ساقيه الصغيرتين يبتسم له ابتسامة ساحره . الوجه ، العينين يتلقفه بين يديه يقبله فى عينية الصغيرتين .يتطلع الى هذا الوجه وهذه العيون .

فى البداية لم يهتم حين اسمته " باجيو" ! شىء ما في داخله كان يرفض فيه ان يصدق انه من صلبه . قتله الشك أياما حتى اسرته هذه العينين وهذا الوجه ... تذكر طفولته ... صوره في هذا الالبوم القديم الذى كانت امه تعتبره اثمن مالديها وكانت تخرجه من وقت لأخر تطالع الصور بعينين أجهدتها السنين .. تترقرق فيها دمعات . ثم تعيدها في غلالة الاكياس واللفائف التي تحفظها فيها .

تتنهد - ياترى انت فين يابنى يامصطفى ربنا يرجعك بالسلامة واشوفك قبل ماموت ..

كانت هذه العينين وهذا الوجه هو ذاته على احدى هذه الصور الصغيرة الباهتة الألوان بالابيض والأسود ...

كانت نطفته ...زرعة .. ولده من صلبه .... عرف ذلك بعينية وقلبه !

ومن وقتها اسماه تامر ! تامر ....

يا الله لقد اصبح أبا ... يا للا ايام ! وبالتصاريف القدر !

الآن اصبح له دار يحن اليها ، يسكن فيها . دار فيها قطعة منه

في احدى جولاته التقى مصريين ... احدهما من الإسكندرية !

****

(١٣)

كانت رياح شتوية باردة اعتادتها الاسكندرية فى هذ الوقت من العام ، يعرف اهلها نوات الشتاء انها نوة المكنسة وقد حملت مطرا غزيرا راح يدق النوافذ والاسطح . وينهمر على الشوارع يعربد فيها ليغرق بعضها ويختفى سريعا فى مساربه فى البعض الاخر . كانت دنيا تحاول جاهدة ان تتبين الكلمات الغاضبة التي كان يقولها زوجها في حواره على التليفون الارضى مع شخص ما استطاعت ان تعرفه حين نطق اسمه .

- ياخيرت محدش ليه حاجة عندى !!

تمنت ان تكف الشغالة النشيطة عن تشغيل المكنسة الكهربائية بصوتها الطاغى لتتبين ماذا يقول لاخية خيرت .لاشك ان أخوه هذا كثير الاسفار قد سمع لتوه بزواجه !

في مساء يوم دافىء على غير العادة من أيام فبراير وبعد نوة ماطرة غسلت وجه المدينة . وعلى مائدة عشاء اعدها الزوج المحب بعد ان نفح الديلفرى بقشيشا محترما راح يفض الاطباق فيفوح في المكان رائحة المشويات والتوابل الفاخرة والمحاشى الصغيرة وباقة

كأنها الزهور بالوانها الرائعة من اطباق السلطة والمشهيات والمخلل ! . خطت ببطء بحملها الثقيل في شهرها الثامن ناحية السفرة . لم تكن هذه هي فقط مفاجأته لها بل أيضا حين اخبرها ان كانت تريد ان ينتقلوا للعيش في فيلا مصطفى كامل !

كانت تطير سعادة وفرحا تكاد لاتصدق كيف صالحتها الأيام .. تنظر الى السماء ..ثم فجاة تتذكر فتذوب الابتسامة من على شفتيها يلوح لها طيف ماض و ذكرى لايمكن ان تموت ... قلق دائم يسلبها السعادة تخشى من غيب لاتعرفه وايام لاتثق فيها ...

كانت تشعر ان ثمة امر بين زوجها واخوته لاتدرى اهو خلاف ام ماذا !!! ...

كانت قد وضعت صغيرها في صبيحة ذلك اليوم حين اخبرها انه ذاهب الى المطار في المساء متاخرا ليستقبل اختة القادمة من أمريكا في زيارة سريعة !!

طارت فرحا بيوسف . احبت الاسم فقد كان امنيتها ورجاءها واختيارها .كانا قد عقدا ثمة اتفاق اذا كان ولد فستسمية هي وان كانت بنت فسيسميها هو كان فى ذهنها يوسف وفى مخيلته فريده ... كانت فريده اختة قيمة وقامة موظفة تعمل في الأمم المتحدة في نيويورك تتراس احدى هيئاتها !!!ا استقبلوا اختة الدكتورة فريدة فى المطار استقبالا رسميا فقد كانت في مهمة ديبلوماسية وليست زيارة شخصية لذلك وجب فيه ان تكون فى سيارة ديبلوماسية وتحت حراسة خاصة واقتضى البرتوكول ان تقيم في استراحة رسميه !!! امكنها بلباقة وذكاء رغم كل هذا الزخم ان تتيح وقت لاخيها فامكنه ان يظفر بنصف ساعة من وقتها ضحك فيه من قلبه وبكى سعادة وحبا ...

عاد في ساعة متاخرة من الليل زارها في غرفتها في المستشفى الاستشمارى الفاخر

رات البسمة المضيئة في وجهه وسعادة تفوق سعادة الأطفال وهو يحمل ابنة بين يدية وقد كان منذ قليل بصحبة اختة فريده الحبيبة الى قلبه ...

حين خرجت من مستشفى الولادة بجنينها اصطحبها في سيارته الى الفيلا في مصطفى كامل مر في طريقه ببيت أمها ليصطحبها واختها فلابد من وجود احد بجانبها في فترة النفاس ....

فى بيت امها دوت زغروتة !

وفي الدور الرابع فى نفس البيت أيضا في شقة ٧..... دوت زغرودة أخرى ...

كانت الأولى لام فرحة بحفيدها والثانية لام علمت لتوها ان ابنها حى يرزق في إيطاليا .

****

(١٤)

نعم تغيرت كريستينا كثيرا . اصبح ابنها حياتها . أصبحت الدنيا كلها باجيو او تامر ..

تركت له معظم العمل لم تعد تهتم كثيرا بإدارة السوبر ماركت ولا المزرعة فالقت عليه بعبء مضاعف استقدم فتاة من بلدة مجاورة تجيد إدارة مثل هذه المشاريع ذكية وصاحبة شخصية قوية وكانت نموذجا لهذا الجمال الايطالى الافروديتى ... لكنها لم تبق طويلا .كانت كريستينا تغار عليه ... رات نظرات الاعجاب في عينية . ... فالمراة هي المراه حتى لو كانت ايطاليه !

كان السوق مفتوحا على مصراعية لمنتجاتهم وتجارتهم وفرص التوسعة والانتشار تلوح لهم دوما لكنها خطوة جريئة تحتاج الى حسابات .مقولة لم يكن يعرفها لكنه كان يطبقها بحذافيرها . " راس المال جبان " لم يكن يقدم على عمل جديد الا بعد ان يحسب حسابة الف مرة وهذ المرة حسبها الف مرة ليقرر بعدها ثم يبدأ الانشاءات وجد شريكا وممولا قويا يحمية من مضايقات العجوز كلاوديو وتهديدات العصابات وأصحاب السلطة التي تتنازع مناطق النفوذ في بعض انحاء إيطاليا .شراكة أبعدت العجوز كلاوديو من طريقه تماما .. فحتى تلك الأشياء التى كان يقتنصها رجاله والمال الاتاوه الذى كان ياتى احد رجالة كل شهر ليحصلها . لم يعد احد ياتيه !! .. لم يعد يدفع !!

وعلى احدى قنوات التليفزيون المحلى ظهر الإعلان منتجات لازاريتا الاورجانيك . تصوير لمزرعة كبيرة من الصوبات والزراعات المحمية وعدد من فتيات يعملون على اله لفرز الفاكهة وتغليف الخضروات وفى مصنع صغير مجاور لانتاج احد انواع الجبن . لقطة سريعة لطفل صغير في ضحكة ملائكية امام قطعة من البيزا الساخنة الشهية تمط خيوط الجبن الناضج منها .. منتجات لازاريتا . ضمت كريستينا ابنها الصغير الى صدرها وامطرته قبلات وهى تشاهد الإعلان على التلفاز في ذلك المساء فقد كان الصغير هو باجيو او تامر الذى اكمل عامين ليصبح ايه من أيات الجمال جمع سحر الشرق وفتنة الغرب هذا المزج الرائع الذين جاء في وجه ووسامة ابيه ثم زرقة عيون امه .

من منا يملك قلبه . من منا يحكم فى مالايملكه ولا قدرة له عليه . قلوبنا تحركنا تدير خطواتنا تؤخرها وتقدمها . تجعلنا ملوكا متوجين نملك الأرض وماعليها ، ترفعنا الى السماء ،تهون الصعب ، تستسهل المستحيل ...

وهى أيضا التي تجعلنا بؤساء وان ملكنا الدنيا ..

وكان قلبه يفر ويهرب منه . يعانده يتأبى علية يخرج من بين اضلعة في اليوم مائة مرة ليذهب اليها يعبر البحر ليلتقيها لينظر الى عينيها ... يبحث عن قلبه الذى تركه هناك على الجانب الاخر من البحر ..

لكن قيدا ثقيلا ثقيلا يكبله يقيده بغربته .انه مكبل بقيد الى هذا البلد الغريب .ببعضه الذى يحبو على الأرض وبدنياه وحياته الناجحة المستقرة فيه ..

-زعق موظف السنترال - " إيطاليا .. يالا ياحاجة .. كايينة واحد" -

صرخت امه في كابينة الهواتف المحمولة في السنترال حين سمعت صوته ..

اازيك ياحبيبى ثم انهارت في بكاء حار.. اخص عليك يامصطفى .. ثم لم تعد تقوى على الكلام .. فالتقطت اختة السماعة

في اليوم التالى كان يجهز أوراقه للسفر -

-

- **********

(١٥)

في الفيلا الفاخرة حديثة البناء المطلة على الطريق الجديد الفسيح في مدينة برج العرب جلس الحاج سعيد البحيرى على الأرض في ظل شجرة متكئا على مسند وقد تحلق على السجادة حوله بضع رجال يرتدون جميعا جلابيب بيضاء وعلى رؤوسهم عمائم ودار حديث هامس يقطعه بين الحين والحين قرقعات صوت الشيشه التي راح يدخنها في بطء ...كانت سعاد العمشة خلف ستارة الفراندة في الدور العلوى تتابع بعينين اجهدتهما الأيام الصعبة من العمل في البيوت والدلالة واللف على الكفور والنجوع لتبيع اى شيء وكل شيء . لم يعد سعيد يخبرها بكل شيء . اته لايبخل عليها بالمال رغم معرفتها الشديدة ببخله .. انهم شركاء هذه الثروة فلماذا يستاثر هو بالبيع والشراء كانت في شوق لتعرف من هؤلاء وماذا يشترى او يبيع لهم انها تحيا حياة لم تكن تحلم بها في هذه الفيلا التي هي في الواقع قصرا بمساحتها وتجهيزاتها التي لايستخدمون منها الا اقل القليل .. هل كانت ستجلس على الشزلونج عند حمام السباحة الرائع مرتدية مايوها يصاحبها الحاج سعيد في برنس الحمام او الروب دى شامبر وهو يدخن سيجارا كوبيا .. لقد رات ذلك ذات مرة بام عينيها حين ذهبت في صباها لتعمل في بيت احد الوجهاء في مصيفه في الساحل الشمالى !! ابتسمت في داخلها وهى تتخيل زوجها سعيد صقز الذى عرفته اول ماعرفته بائعا متجولا في قرى محافظة البحيرة ثم سمسارا وتاجرا بسيطا يبيع اقمشة ومنسوجات بالتقسيط لبعض البيوت ومن يعرفهم من موظفي الحكومة في المركز كان يعرف موعد نزول مرتبات كل هيئة وإدارة ووزارة يتعامل مع أهلها .. في الموعد المحدد تجدة يطرق الأبواب وبيدة هذه الاجندة المكتظة بحسابات ومستحقات الناس له كان عملا جيدا يدر عليه ربحا وكان الرجل بارعا في عرض بضاعتة وإقناع الناس بها كان يحمل بضاعتة في اول الامر على كتفيه يجوب بها القرى والكفور ثم وقد زاد الرزق في يدية فاشترى دراجة نارية بصندوق وفرت عليه الجهد .... عرفها ذات يوم وهى تعمل في دار احد هؤلاء الذين كان يؤدى لهم عملا ... حين تزوجها لم تعد تعمل في البيوت لكنها عادت لتعمل عمل زوجها تبيع الملابس الحريمى وتجهيزات العروس ..

في واحدة من ضربات القدر الموجعة انقلبات به الدراجة واحترقت وراحت بكل ماعليها من بضاعة وظل في المستشفى شهرا كلما استفاق سال عن الشنطة والاجندة ...

كان السفر الى الإسكندرية امر فرضته الظروف القاسية التي حلت بهم . ذات مساء وفى هداة الليل غادر دارة في القرية الى الابد ..

تذكرت العمشة عملها وزوجها حارسا وبوابا لهذا العمارة ... تذكرت هذا الرجل العائد من دول الخليج لم تكن تعرف ان كان مصريا ام خليجيا كانت لكنته خليط من هذا لا تدرى ان كان خليجيا عاش في مصر قليلا ام مصريا امضى عمره في الخليج . كان رجلا نهما في كل شيء يأكل ويشرب ويدخن مبذرا حد السفالة وكان زوجها يعرف هذا ويستفيد منه لاتذكر كم عدد المرات التي كلفة فيها بشيء فتقاضى منه اضعاف ثمنة .. كان زوجها يجلب له الحشيش وزجاجات البيرة والخمر التي كان يعب منها عبا ..

كان متزوجا باثنين لعل احداهما بمصر ... قال لزوجها ذات مرة انه تزوج اثنين لم تكن متأكده

في لحظة سكر وقد لعب الخمر براسه باح لزوجها برغبتة في الزواج .. وفى لحظة سكر أيضا باح له بمشروع يجهز له وسر ماكان يجب ان يبوح به .

في هذا اليوم كان قد سحب ودائعه المالية من عدة بنوك. وفتح صندوق وديعة خاص به يحتوى على مشغولات ذهبية تقدر بملايين !

في اليوم التالى قتل !

توارت العمشة خلف الستارة لئلا يلمحها احد حين قام ضيوف الحاج سعيد -الذى لم يحج اصلا - لينصرفوا ...

سار معهم بجلبابه وعباءته وقد نسى ان يرتدى نعله . سار حتى سياراتهم الصحراوية ذات الكابينة المزدوجة الرابضة تحت العريش الكبير المبنى خصيصا لذلك .

ودعهم ثم عاد الى جلسته وراح في تفكير عميق انهاه بنفس طويل من الشيشة التي وهنت نارها وكان حجر المعسل فيها قد احترق . فنادى بصوته الاجش على الخفير .

- ياقبيصى ...هاتلى حجر ونار .

****

(١٦)

فى الرحلة ١٢٢ القادمة من نابولى الإيطالية الى مطار برج العرب الجديد وعلى متن خطوط "ويز اير" بالوان طائراتها الايرباص المميز في صبيحة احد أيام الشتاء الدافئة ووسط وفود سياحية إيطالية كان المسافر رقم ٢٤ الذى يحمل جواز سفر ايطالى باسم مصطفى ابراهيم عبد الجواد ..... يستمع الى كلمات المضيفة وهى تعلن وصولهم لمطار برج العرب بالانجليزية والإيطالية ...

مرت سبعه عشر عاما حين حمله البحر الى المجهول ، سبعه عشر عاما ... غادر الإسكندرية متخفيا هاربا فى مركب للمهاجرين الغير شرعيين وعاد اليها فى طائرة السياح ورجال الاعمال ،غادر مدينتة مصريا وعاد اليها إيطاليا !! غادرها شاب في مقتبل العمر يعانده كل شيء

ويقف في طريقة كل شيء وعاد اليها رجل اعمال يشار اليه بالبنان له صلة جيده باصحاب النفوذ والسلطة ...

نظر اليه ضابط الجوازات بدهشة . ثم حياه بابتسامة رسمية .ثم بالعربى - حمد الله على السلامة اسرع اليه احد سائقى الليموزين يحمل حقائبة . وراح بانكليزية ركيكة يساله الى فندق ماذا

ودينى سيدى بشر ياعم الحاج ؟ -

- كانت فرصة جيدة مع سائق ليموزين كثير الكلام ان يقدم له ملخصا وافيا طوال الطريق الطويل وعبر طريق دائرى لسبعة عشر عاما كيف تغيرت الإسكندرية ...

بين دموع وبكاء وضحكات قضى مصطفى نهاره وليله حتى انتصف بين امه وابيه والبنتين اللتان اصبحتا انستين جميلتين تعمل الكبرى في احدى الشركات والصغرى طالبة في الثانوية العامة ..

كان ابوه قد كبر سنة وضعف بصره وسمعه . وامه التي تصغر ابيه ب١٥ عشر عاما كاملة تتمسك بالحياة لاجل بناتها . حكت له عن اخته الثالثة التى تزوجت رجلا من احدى قرى محافظة البحيرة المترامية الاطراف مات زوجها وكانت قد انجبت منه ولدين هي من تقوم بإدارة اعماله الان !

حكت له اخته الصغرى بعفوية عن جارتهم !! ظل صامتا ..

اراهم صورة زوجتة وولده .. تخاطفوا الصورة .. بكت امه على المقادير والمكتوب الذى لامفر منه بكت عمرا تسرب من بين اصابعها عانت فيه شظف العيش وقلة الحيلة وتجملت بالصبر واحتالت على الأيام الصعبة لتمر . ولدها الوحيد وثانى فرحتها تزوج بعيدا عنها وانجب ولدا ، حفيدها الذى لايمكنها ان تراه وتقبلة وتضمه الى صدرها فهذا هو " الولد اعز الولد" ..

قضى أسبوعا واحدا لكن مافعله يحسب بالشهور ..

فى احد هذه الايام القصيرة مر على اماكن تحمل له ذكرى عزيزة عليه اخذ التاكسى من سيدى بشر ليملى عينية بطريق الكورنيش حتى راس التين فى هذا الصباح الباكر المنعش بشيء من اجواء خريف الاسكندرية الرائع مر بالسراى وبجليم تذكر سان استفانو راى الفندق العتيق ستانلى وفى الشاطبى عند السلسلة لايزال هذا التمثال المرمرى الابيض الشهير فى مكانه باشرعته البيضاء انه لعاشق اختطف محبوبته من البر وطار بها فى مركبه الى جزيرته ..... عاد بذاكرته الى للحظة خروجة من مصر مهاجرا يقطع البحر الى بلد مجهول فى هذا المركب الذى راحت امواج البحر تتلاعب به حتى اوصلتهم الى من تلقفهم بقارب اخر عند صقلية ومنها تسلل الى ايطاليا .. كان يصارع كل شيء حينها القلق والخوف والجوع والبرد والموت .. كانت حياته رهينة البحر ... وقف امام ها التمثال الابيض فى الشاطبى عبد السلسلة لطالما تعجب من هذا التمثال واليوم فقط وقف يستمع بدهشة الى رجل عجوز

يقف بجواره وهو يمازح شباب الجامعة القريبة ويحكى لهم قصة الاسطورة اليونانية القديمة . لم يكن يعرف ان التمثال ل زيوس الذى تنكر فى هيئة ثور ليخطف محبوبته اوروبا فيعبر بها البحر . عبر البحر فى مركب بشراع .... وعبر هو البحر فى مركب بلا شراع ... ..لم يكن يعرف هذا قبل اليوم ..راح يتامل التمثال من زاوية اخرى بدا له الثور ضخما قويا ثائرا ....

مر بشارع فيه بيت صديق قديم له . رنت ضحكة صاحبة فى اذنية .. لطالما جمعها السفر الى المنيا ومطروح ومحافظات مصر يوزعون منتجات الشركة سويا ... امام داره وقف ونادى ..

دار قديمة تكاد نوافذ الدور الاول فيها تطال الارض هبط الدرج الاول فيها الى مادون مستوى الشارع حتى تخال ان الخراجون من البيت كانهم يخرجون من تحت الارض ... نادى مرة ثانية وثالثة .. من المنزل المقابل فى هذه الحارة الضيقة خرج رجل .

-عايز مين يااستاذ .وهو يبدو متعجبا

-هو مش برضه عماد ساكن هنا اصل انا .....

نظر الرجل الى البيت امامه ثم همس الى مصطفى .

عماد اتوفى من يمكن سنتين ... انت متعرفش ..

نعتقد انه ليس هنال ثمة موت وفقد لمن نعرفهم رغم ان الموت يحيط بنا من كل جانب . حقيقة هى اوضح مايكون لكننا ننساها او نتناساها ... وقف جامدا فى مكانه مشدوها ... وكانما الرجل ادرك الموقف .. فربت على كتفه وسار معه خارجا من الشراع الضيق . وحكى له ان صديقه عماد مات فى العراق وليس ثمة احد فى البيت الا امه الذى صارت قعيدة من شلل واب يكاد لايقوى على الحركة ... ثم شد على يده وتركه بخطوات سريعة واختفى فى زحمة الشارع الاخر الكبير ...

حينها بدت له الاسكندرية مكانا غريبا موحشا ..

نعم حين حملته طائرة مصر للطيران الى نابولى كان قد قضى أسبوعا في مصر ..

أسبوعا واحدا لكن مافعله فعلا كان يحسب بالشهور .

عاد ببضع صفقات تجارية وعقد شراكه مع صديق قديم وفتح لامه حسابا في البنك حول اليها مبلغ ماليا كبيرا تنفق منه كيفما تشاء .

ودع الإسكندرية جلس على الكورنيش في هذا الصباح الباكر استمتع بهذا المنظر الساحر الذى طالما احبه ،هذه المياة الزرقاء وهذا الامتداد حتى حافة البصر لمياة البحر التي تغلفها السماء الصافية . في هذا الصباح الباكر النشط وحركة دؤوبة في هذه الساعة المبكره من النهار لاناس يتريضون على الرصيف المحاذى للشاطىء الذى بنى حديثا سار حتى وصل الى شاطئ استانلى ليشاهد هذا الخليج الصغير الذى لطالما احب رؤيته وهذه الادوار الثلاث من كبائن المصافين بلونها السماوى المميز خليج صغير تحتضن كبائن المصطافين من سنوات

بعيدة عند منطقة استانلى يذكره بمبانى قصر المنتزة وحدائقها التي تحفظ ذاكرته لحظات عمره ولقاءاته مع حب عمره فيها .. مرت به بائعة الفل . تبسم في وجهها دعت لها دعوة براحة البال وضعت إكليلا من الفل حول رقبته .لم تصدق عينيها كادت تبكى فرحا حين أعطاها ورقة بمئة جنية .

كانوا جميعا ينتظرونة على الغداء تأخر كثيرا لكنه حين عاد من جولته كان يحس بالجوع فعلا .. رائحة الطعام تسللت الى ذكريات عمره اخذته بعيدا اعادته طفلا وفتى وشابا .. اغمض عينية واستنشق نفسا عميقا ...وفى الصالة الضيقة الصغيرة وكانما يؤدى مشهدا مسرحيا : صاح " الله الله ... ملوخية !"

رحل فى اليوم التالى

- من المطار الى داره في الضاحية أرسلت اليه كريستينا السائق. بالسياره .حين وصل الى داره كانت تنتظره مفاجاة .

اسرعت اليه كريستينا عند الباب والقت بنفسها عليه باكية بكاءا مريرا وقد تهدلت ثيابها واحمرت عينيها وسقطت من بين اصابعها سيجارة مشتعلة !

سقطت شنطة اليد الصغيرة من يده حين راحت ف كلمات متعثرة تقول له .. لقد خطفوا باجيو

كان الصبى في السابعة من عمره يتكلم بعض العربية التي تعلمها من ابيه ، والايطالية التى تعلمها من امه .

فقط حين اتصل احدهم هددها بالا تبلغ البوليس فانهم لن يساعدوهم ! عرفوا ان ابوه سيعود في اليوم التالى ! لم يخطر ببالها ان تسال كيف عرفوا !

وهو أيضا قرر الا يتصل بالبوليس كان يعرف فساد الشرطة الايطالية وكان يعرف ان بعض رؤسائهم شركاء في تجارات محرمة او تحصيل اتاوات او حتى حماية المافيا الذين كانوا موجودين تحت سمع وبصر الحكومة هناك . كان امر عرفه يقينا ورآه بعينه ..بل اصبح يعرف بعضهم ... لم يكن يجرؤ على المجازفة .. راح ينتظر اتصالهم !

دق هاتف المنزل الأرضي ! !

راح يكرر فى لهفة الو ... الو .. عدة مرات قبل ان يغلق الطرف الاخر ...! قلب اب يحترق وقلب ام يتمزق . كانت كريستينا تصرخ في وجهه "اعطهم مايريدون ... لااريد ان يقتلوا باجيو .. ثم تصرخ في هستيريا !

شيئا واحدا فعله دون علمها حين خرج وعاد سريعا ..

في اليوم التالى تلقى اتصالا يطلب فدية ١٠ ملايين ليره ! قال ببساطة انه سيدفع مايمكنه لينقذ ابنه لكن ١٠ ملايين مبلغ لايملكه . اغلق المتصل الخط .

في المساء التالى جاءه اتصال لم ينبت بكلمة فقط كان يستمع ويهز راسه !! لم يمض وقت طويل حتى جاءه اتصال اخر اختطفت كريستينا السماعة وراحت في نشيج حار تستعطف المتحدث وتعده بان توفر له مايريد من مال ! حتى انتزع منها سماعة التليفون وراح يحادثه ، خمسة ملايين سيكونون جاهزين صباح الغد كيف تريدنى ان اسلمهم لك ! وقبل ذلك استلم ابنى سليما معافى !

فبلهجة قاطعة إجابة ان هذا امر سيتم ترتيبه غدا !!

****

(١٧)

في صبيحة ذلك اليوم حين اشرقت شمس نابولى وتسللت اشعتها عبر سماء ملبدة بغيوم تتحرك ببطء وتثائبت اشعتها وهى تتمدد على الأرصفة والطرقات واسطح المنازل المبلله . حين طلب من صراف البنك سحب مبلغ ٥ ملايين ليره اتسعت عينا الرجل دهشة في هذا الصباح الباكر . ثم ارشده بادب الى مكتب مدير البنك !

حين خرج من البنك بحقيبته المكتظة علم ان هناك من يتبعه . دار عدة دورات في الميدان الفسيح حتى تاكد ان من يتعقبه قد اختفى .

تسلل الى البيت ووضع الشنطة في مكان خفى وصعد الى غرفة نومة واخرج بندقية صيد ومسدسا صغيرا وعصا غليظة كان يضعها احيانا خلف مقعد السيارة في رحلاته الطويلة عبر الطرق ...

جاءه اتصال من شريكه صاحب النفوذ والسلطة بكلمات قاطعة حادة .

" لماذا سحبت من رصيدك ٥ ملايين ؟ يجب ان اعرف الان ماذا تخطط أيها المصرى !

اسقط في يده !! توقفت سيارة امام البيت في نفس اللحظة التي اغلق فيها شريكة الخط غاضبا ..

اسرع فاحضر بندقيته ووضعها خلف الأثاث ...

لقد كانوا رجال شريكة !! عرفهم لانه كان قد التقى احدهم قبل ذلك و انجز معه بعض الاعمال لصالح شركتهما !

رحب بهم ! لم يستطع ان يخفى توتره وبدت كريستينا في مظهرها مدعاة لالف سؤال ..

قال لهم الحقيقة ! ..

رن الهاتف في يده سأله المتحدث .. هل أبلغت الشرطة ؟!

قال لا . فساله مجددا اذا من هؤلاء ؟

علم انه مراقب !

تمالك كل ذرة في اعصابه وهو يهمس بانهم شركاؤه في العمل جاءوا ليسددوا بعض ما عليهم من مال ليكتمل المبلغ !

اغلق الخط .

يا ويل من يعبث مع الكبار !! ..

لم يمض وقت طويل بعدها حتى كان رجلان قد اقتحما مكتب خفى فى الباحة الخلفية لاحد المحال التجارية . مكتب يجلس عليه كلاوديو العجوز .وفى لمح البصر كانت فوهة مسدس كاتم للصوت مصوبة اليه وسكين تقطع الصخر قريبة من اوتار عنقه حينها اخبرهم الرجل بكل شىء.

كان هو ايضا قد كلف مخبرا خاصا ليتحقق له من شىء كان يدوى فى عقله . فاتم الرجل المهة بنجاح . لقد حصل على معلومات مكان ورقم المتحدث تجمعت الخيوط كلها . انه احد رجال كلاوديو الذى تمرد عليه وراح يعمل لنفسه .

تم تسليم مبلغ الخمسة ملايين دولار في نفس وقت تسليم باجيو على الموبايل تم التنسيق باحترافية يتقنها امثال هؤلاء المجرمين . عاد الصغير الى حضن امه وطارت السيارة به الى البيت بينما طارت سيارة أخرى الى مكان اخر .

في هذا المساء اقتحم رجال مسلحون بيتا منعزلا في اقصى شمال نابولى وقتلوا كل من كان فيه واستولوا على مبلغ خمسة ملايين ليره وسكبوا بقية زجاجات الخمر واشعلوا النار في البيت ..

****

(١٨)..

يشغل مكتب الأستاذ شعبان يحيي المحامى مساحة شقتين في الدور العلوى في احد العمارات الشاهقة الارتفاع والتي اطلق عليها برج اللؤلؤة ، الأرضية الرخامية في المدخل الفسيح ، الاضاءه ، اللوحات الزيتية القيمة التي زينت المكان كأنه جاليرى .اضف الى ذلك الديكور الفاخر كل هذ اضفى على المكان اناقة وجمالا وهيبة ...

التصق باسم شعبان يحى لقب الحاوى فقد كان لقبا مميزا له انتقل اليه من ابيه . كان لابيه محل صغير يبيع فيه مستلزمات المنازل والمفروشات . يبيعها بالتقسيط أحيانا لمن يعرفهم ، كان الرجل في شبابه يحمل على كتفيه الكليم والسجاد يطوف به شوارع الحى قليل السكان في المدينة الهادئة آنذاك . كان ابوه حلو اللسان بارع في الاقناع ، محبوب ، عاشت تجارته المتواضعة رغم كل مااستجد في أمور الصناعة والتجارة .

وكان الولد سر ابيه ، يتوقد نشاطا وبراعة ساحرا متكلما كابيه يعرف من اين ئؤكل الكتف . لدية حاسة شم للمال ،يعرف كيف يقتنصه . يملكه . ينمية . يتاجر به . قضى سبع سنوات في كلية الحقوق . ليس لانه فاشلا بل لانه لايجد وقتا كافيا للمذاكرة فقد كان يعمل وكان عمله يدر عليه الاف الجنيهات !!

والحقيقة ان مكتبة الفاخر هذا كان يعمل في كل شيء الا المحاماه ! نعم فقد كان للعقارات والانشاءات وعقود العملاء ، بل انه وظف اثنين من المحامين لمتابعة النواحى القانونية في العمل .

كان مكتبة يدير عدة عمليات تجارية ومبان سكنية وبضع عمليات استيراد أجهزة وماشابه .كان شريكا لاخرين في انشاء واحدة من القرى السياحية الممتده على طول ساحل البحر الأحمر واستطاع بطريقه ما ان يحصل على تخصيص لقطعة ارض من المحافظة هناك .وبهذه الورقة فقط وبضع إعلانات جمع مايكفى لبناء احد اميز المنتجعات في البحر الأحمر دون ان يدفع مليما من جيبه !!

ولأنه يشم رائحة النقود ولايدع فرصة الا استغلها فقد عبر بعقله الى القارة الاوربية ، الى ما يحتاجه السوق المصرى في فتره نهضت فيها صناعة البناء والتعمير مئات القرى السياحية راحت تنشيء في البحر الأحمر وعلى ساحل الأبيض المتوسط بين الإسكندرية ومطروح وفى سيناء بعد ان استردتها مصر من إسرائيل وراحت تخطو خطوات واسعة نحو التعمير.لقد اختار إيطاليا ليستورد منها ماخف حمله وغلى ثمنه .

ومن هنا عرف مصطفى وراحت علاقة العمل هذه تتطور على مدى بضع سنوات تضاعفت فيها حتى صارت بالملايين وحينها أيضا كان لزاما على مصطفى ان يجد شريكا صاحب نفوذ في إيطاليا .

في احدى زيارات المحامى شعبان القليلة لإيطاليا والتي التقى فيها بمصطفى تحادثا في شراكة لانشاء مصنع أدوات كهربائية في مصر فان البناء والتعمير فى تزايد مع زيادة السكان والعمران . وفعلا لم يمض شهر حتى كانت كل الاتفاقات وخطوات المشروع الأولى قيد التنفيذ .

****

-(١٩)

حرصت دنيا واصرت على الايجهد زوجها الدكتور خليل نفسه كثيرا في العمل فان بيته وزوجته وحياتة الجديدة تقتضى ان يحيا حياته ويعيشها كاى انسان .استطاعت ان توفر طبيبا اخر في العيادة وادارت هي العمل بكفاءة من بعيد فقد راحت في إصرار تتابع كل كبيرة وصغيرة ليس في العيادة فقط بل في املاكه الأخرى التي كان يحصل ايجاراتها . لقد اكتشفت ان الرجل يمتلك ثروة عقارات بعضها غير مستغل بالمرة وبعضها مهمل وبعضها تجاوز الرجل عن بعض حقه فيها !

بتوكيل بإدارة اعماله وممتلكاته وفى فتره قصيرة اثبتت براعة ومقدرة على الإدارة ! . فانتزعت بعض ممتلكاته من بين براثن بعض المؤجرين الذين انتقصوا حق الرجل الذى كان متساهلا الى ابعد الحدود معهم ، اوقل مراعاة لظروف إنسانية كان هو اعلم بها !

كان الرجل قد اجهده العمل حقا . وكان الفتى الصغير الذى انجبه على كبر هو نور عينية وروح فؤاده . كان صورة منه في صغره شعره وتقاطيع وجهه وحركاته وسكناته . كانت له عيون امه وجرأتها ، امه التي منحته حياة جديدة ووهبته اسرة وبيتا .

دق جرس الهاتف في الصالة الكبيرة في فيلا مصطفى كامل واسرعت الخادمة الفلبينية في زي العمل لترد .

وبكلمات عربية مختلطة بالانكليزية وضعت سماعة التليفون جانبا واسرعت الى الدكتور .
- دكتور كاليل (خليل) بيك .. تاليفون مهم داورى .. كلم !

البيت القديم في كليوبترا اصبح ايلا للسقوط . تهدمت أجزاء منه في هذ اليوم فخرج بعض السكان سريعا .لكن البعض اصر على البقاء ويريد ان يقابل مالك البيت . اسرع بارتداء ملابسه وخرج ...

رفضوا ان يخلوا البيت الا ان يعوضهم فقد رأوا ان البيت في هذه المنطقة الراقية سيهدم ويكون مكانه برج تساوى الشقة فيه مبالغ طائلة فراحوا يساومونه ! لم تفلح محاولاته معهم ،استصدر احدهم ممن يعرف احد أصحاب النفوذ امرا بالقبض عليه ! .

كان وقع الامر شديدا عليه وعليها أيضا . ثارت ثائرتها تفجرت ثورة النمرة الرابضة داخلها . وما كاد يخرج من احتجازه بقسم الشرطة بعد ساعات . حتى توجهت الى مكتب شعبان الحاوى المحامى .

في خلال ثلاثة أسابيع لاغير كان كل من في البيت قد اخلاه رغما عنه وبقوه من الشرطة المسلحة من جنود الامن المركزى !! وقفت من بعيد في سيارتها تراقب الموقف ولم تحبس ضحكة جرت على شفتيها حين القت الشرطة القبض على احد السكان الذى راح يهدد ويتوعد وهو يعترض على الاخلاء، فتعدى على احد الضباط فاشبعوه ضربا . كان هو من اشتكى زوجها !!!

في الشهر الذى يليه كانت الأرض الفضاء التى هدم مبناها الايل للسقوط يتصدرها اعلانا كبيرا وصورة لمبنى سكنى في غاية الروعة يجمع بين الحداثة والكلاسيكية بإمكانات غير مسبوقة ترفع اساساته شركة يدير اعمالها المحامى شعبان الحاوى وشركة عقارات يشارك فيها أيضا المحامى شعبان الحاوى !!!

**********_

(٢٠)

تصاعدت ابخره الشيشة غزيرة قوية الرائحة هذه المره بعد ان نقحها الحاج سعيد قطعة حشيش راحت تذوب فوق الجمر المتوهج ، حين سمع قرقعة صوت شبشب ات من بعيد اعتدل قليلا ومال براسه يتابع زوجتة في عباءتها الفضفاضة وهى قادمة نحوه . ماكادت تجلس بجسدها المكتنز بصعوبة على الأرض حتى اشارت عليه بيدها الممتلئة بنصف دستة غوايش ان يكف عن التدخين !

دار حديث مقتضب بينهما .سالته عن هؤلاء الذين كان يجلس معهم ، واى عمل مع هؤلاء الناس الذين عرفت دونما جهد كبير انهم أتوا من سفر . فقط قال انه عمل وتجارة وان هؤلاء سيكونون شركاءه وثمة فرصة كبيرة لربح الملايين فقط لو تم الامر كما في ذهنه . راحت بعين كليلة تسبر غوره وتنظر في كلتا عينية علها تنفذ الى عقله فتعرف ما يدور برأسه !

يعرف زوجته جيدا . ستناور وتدور وتحور وستسأل نفس السؤال بألف صيغة . ستفسد عليه الانفاس الزرقاء التي ملء بها صدره للتو ! ستعكر صفو رأسه وحسابات عقله التي لم تتوقف منذ ان غادر هؤلاء الناس . اخبرها من بين اخر انفاس الشيشة التي خمدت نيرانها انه سيشترى بضعة محلات ويسجلهم باسمها . ترجرجت كومة اللحم ومالت عليه تقبله في وجنته المكتنزة !

لم تمض بضعة اسابيع حتى كان احد السماسرة يتصل ليخبره ان أربعة محلات يتم وضع اساسات عمارتها في كليوبترا في موقع ممتاز وعليه ان يسرع قبل ان يشتريها غيره !

في مكتب شعبان الحاوى المحامى حضرت دنيا نائبة عن زوجها الدكتور فايز في البيع والشراء وتوقيع العقود وحضر الحاج سعيد بشحمه ولحمه بشنطة مكتظة مليئة برزم المال ثمنا لأربعة محلات في عمارة كليوبترا

****

---

(٢١)

الفيلا فى مصطفى كامل .لم تعد تحب هذا المكان كانت تحس ان ارواح من سكنوه قبلها تدير وتملك كل ركن فيه . كان هذا الاتساع هذه الغرف الواسعة هذه اللوحات الزيتية التى تحس ان اصحابها ينطرون اليها من خلف الاطارات الذهبية . تشعر انهم لايستسيغون وجودها لانها ليست مثلهم . اصبح يقلقها هذا الهدوء ،هذا الصمت الارستقراطى .تراودها دوما قسوة الشعور بالغربة فى البيت ..

ملت هذا الاثاث الفاخر العتيق . هذه الغرف الفسيحة حد البذخ .

جائها العرض كانه روعة ترتيبات القدر التى تبدع فى الاختيارات . كانت احدى السفارات تبحث عن مكان مناسب . مكان يتناسب ومكانة البلد الاوربى الراقى ،مكان يحمل قيمة فنية ومعمارية .جاء ذات يوم رجل كفرسان القرون الوسطى بسيارته وطلب لقاء الهانم وكان

ديبلوماسيا من اولئك الذين يجيدون الحديث لاتعرف كيف يتقن العربية الى حد البلاغة واللهجة المصرية الى حد حوارى السيالة وشوارع المنشية وسوق راتب ! شيئا واحدا يخبرك انه ليس من ابناء الاسكندرية وانه ليس حميدو او رمضان او مرسى ..... انه شعره الاشقر وعينية الزرقاء ، كان عرضا سخيا لم يكن بوسعها حينها ان ترفض خاصة حين اقنعها المحامى وشريك العمل فى برج كليوبترا بالفائدة التى ستعود عليها ...

كانت الفكرة قد اختمرت فى راسها حتى قبل ان تستشير المحامى فقد رتبت كل شىء فى راسها .ستكفيها شقه فى عمارة كليوبترا التى تم بالفعل بيع معظمها حتى قبل ان تكتمل يمكنها ان تاخد شقة ويمكنها ان تجمع بيت شقتين يمكنها ان تحتل دورا كاملا اى ثلاث شقق .

فى اليوم التالى كانت قد قررت فلم يمض شهر وبضعة ايام الا وقد تم اعدادها على عجل لتنتقل اليها مع زوجها الذى تدهورت صحتة فلم يعد يقوى على الحركة كثيرا .

حين اخبرته انها تود ان تؤجر الفيلا لانها ماعادت تأمن على نفسها ولا ولدها فى هذا المكان الفسيح . نظر اليها ولم يجب فقط اغمض عينية وراح فى سبات عميق !!

واستأجرت السفارة الفيلا واصبح ثمة حساب بالدولار لها فى احدى البنوك الشهيرة يتراكم عند مطلع كل شهر . اصبحت ماكينة لتصتيع وانتاح المال سبع سنوات زواج كان ثمرته هذا الطفل الوديع الذى ورث عن ابيه سكونه وهدوة .كان حياة ابيه وروحة وانفاسه وكان مشروع امه واحلامها وطموحها . اصبحت امراة تدير بيتا ومشاريع وبضع اعمال وتجارة وشراكة تقدر بملايين . اصبحت سيدة اعمال لكنها لم تشارك فى هذه الجمعيات ولا تلك الاندية رغم تودهم لها ودعواتهم المستمرة بل وحيلهم احيانا ... كانت تتملص منهم كان الدافع شعورا قويا انها لا ولن ترتاح لمثل هذه الوجوه التى لاتنتمى اليها . تحس بزيفهم وتملقهم ، اذا دعوها لمناسبة اكتفت بالحضور لدقائق لاتلبث ان تغادر بعدها فى كل مرة سريعا .

حتى كانت تلك المرة التى استطاع احد الصحفيين الذين يحضرون مثل هذه الاجتماعات فيبتزون باضواء كاميراتهم هؤلاء الباحثين عن شهرة وصورة فى مجلة او جريدة ترضى شيئا ما فى نفوسهم استطاع ان يلتقط صورة لها على منضدة حفل احد تلك النوادى الاجتماعية سيدات الثغر . كانت تتحدث فى المحمول بغضب وهى تهم بالانصراف حين برق الفلاش من بعيد .

اسرعت فى اليوم التالى حين اخبرتها احد هذه السيدات بشراء المجلة .وحين وجدت الصورة والتعليق عليها استشاطت غضبا .واول مافعلت ان اتصلت برئيس التحرير وبلسان حاد كسكين جزار فى صبيحة عيد الاضحى كالت له سيلا من اقذع الشتائم !

وفى العدد التالى للمجلة فى يوم الاثنين كان الرد ...

.

_**********_

(٢٢)

الانتخابات ... لعبة السياسة الاحزاب الجديدة ... عصر جديد ... المصالح تتكلم . ضج الحى بصور ولافتات المرشحين .. رشح شعبان الحاوى نفسه فى انتخابات مجلس الشعب .. ضمنوا له الفوز ! فقد قدم االسبت كما يقال ... انه رجل يعرف كيف تدار اللعبة . يعرف قواعدها ويفهم خباياها . فراح يلعبها . بضع خدمات براقة قدمها لاهل الحى . رصف هذا الشارع ،توصيل المياة لتلك المنطقة بضع اجتماعات وصوانات يدوى فيها تصفيق حاد وهتافات من اناس احترفوا هذا العمل يظهرون فى مثل هذه المناسبات يثيرون هذه الضجة يديرونها .هؤلاء ملئوا الحى ضجيجا وهتافا وملئوه اوراقا ولافتات .. طاف مرشح الحزب بالشوارع والازقة يستمع لهذا ويطلب من معاونية ان يدونوا شكوى هذا . يتصل احيانا فى التو واللحظة من تليفونه المحمول على مراى ومسمع من الجميع ليطلب حل مشكلة احدهم ... وزع معاونية مئات صناديق الاغذية للساكنين فى المناطق الفقيرة ، ارسلت اليه "دنيا" عربة محملة منها .. انها لعبة المصالح

امتلا السرادق المتلالا انوارا بالناس . سرادق ضخم اقيم فى الميدان تحولت اتجاهات المرور لاجله لم تنقطع الهتافات المدوية بحياة الحاوى حتى ساعة متاخرة . وتتابع اصحاب الكلمات يثيرون الحماس ويشيودون برجل الساعة بخير من سيمثلهم بدعوة الناس ليعطوا صوتهم للرجل الامين النزية ..

اصطحب فى موكبة مسؤلين ليؤكدوا دعمهم له ودعم الحزب . وسار فى موكبة احيانا عشرات من رجال بعضهم خرج لتوه من السحن ، كانوا رسالة الى كل مرشح منافس .

فى صبيحة يوم تجاوزت حرارة شمس ظهيرته السادسة والثلاثين درجة حملت السيارات الناخبين من اماكن مختلفة ليدلوا باصواتهم فى الانتخابات .. ووقفت قوة كبيرة من جنود الامن المركزى والداخلية ليؤمنوا المشهد ...

اعلنت النتائج .... نتائج انتخابات مجلس الشعب ، كان الرجل على القمة باصوات تفوق منافسيه بكثير ... ! يقسم منافسه الحاج عوض الريدى كبير عائلات الريدى الرجل الذى عركته الدنيا والذى يعرف دائرتة كما يعرف كف يده ان من رشحوه يفوق بكثير هذا العدد .. ثم يضحك بمرارة ويضرب كفا بكف وهو يردد "ثلاثين الف " جاب ثلاثين الف ... " وهو يقصد طبعا عدد من رشحوا شعبان الحاوى .... ثم يسب بصوت هامس لايسمعه الا الجالس بجوارة ثم يميل الى الشيشة التى احضرتها احدى خادماته فى مندرتة فى بيته الريفى الفاخر فى المعمورة الجديدة وسط مزرعته وشركته .

اصبح شعبان الحاوى عضوا فى مجلس الشعب . اصبح نائبا .. رجل تحميه الحصانة والسلطة ....

**********_

(٢٣)

جلست دنيا ساهمة مستغرقة فى افكارها فى اجتماع مجلس ادارة هذه الشركة التى تحمل هى نصيبا لاباس به من اسهمها ، نعم لايجعلها هذا تدير او تتخذ قرارات لكنها كانت سعيدة انها بعيدة عن هذه المسئولية فى عمل يحتاج الى خبرة ودراسة لاتمتلكها كان من يدير الشركة اناس محترفون كان هذا هو مجال عملهم الذى الفوه وتمرسوا فيه سنين وقد ادركت حين شاركتهم بفطنتها انهم اهل للنجاح فسارت فى ركبهم ووضعت ثقتها ومالها فى هذا العمل حتى وان كانت لاتفهم فيه كثيرا فان لكل عمل من هذه الاعمال الكبرى وجها اخر لايعرفه الا من تمرسوا فيه سنين .درات بعينيها فى وجوه المساهمين الاخرين من حملة الاسهم الكبيرة خمسة عشر رجل وامراة واحدة هم صفوة مجتمع بحق كان فيهم الطبيب س . ب الشهير الذى توسط مركزه الطبى المدينة والذى يسافر دوما الى الخارج لحضور المؤتمرات .

وذاك هو المستشار س . و رئيس النادى وصاحب الشهره الواسعة فى مدينة الثغر . وراحت تنظر بعين الاعجاب للاعب الاولمبياد الشهير م .م الذى حصل على ميدالية ذهبية فى دورة العاب اولمبية يجلس معتدلا بصدره الممتلىء واكتافه العريضة .ثم عدلت ببصرها عنه سريعا حين رأته اختلس النظر اليها وهو يعدل خصلة من شعره الذى لازال يحتفظ بسواد لونه وطوله

انتبهت على صوت اقتراع برفع الايدى .. لاتدرى ترددت لحظة فلم تكن قد تابعت الكلمات لكن شيئا ما جعلها ترفع يدها حين رأت هذان الاثنان بشكل خاص يرفعان ايديهما بالموافقة الكابتن م.م ومدام سولو .! المرأة الثانية فى هذا الاجتماع .كانت هى ومدام سولو يمثلان الجنس الناعم . يمثلان المرأة فى هذه المؤسسة التى تكاد تكون ذكورية بالعاملين فيها والمشاركين فى اسهمها . لقد استطاعت ان تعرف بطرقها عن هذه السيدة الكثير فلم تكن مدام سولو او سلمى فى الواقع تدع فرصة لاحد ان يحادثها فقط بضع كلمات تتبادلها من الجالس بجوارها ثم تنصرف مباشرة عقب كل اجتماع . كانت دنيا قد استطاعت ان تتواصل مع احد العاملين فى الشركة . احد هؤلاء الذين يحترفون عرض خدماتهم لمن يطلبها . الذين يقتنصون المعلومة ويبيعونها بثمن لمن يريد . وكانت تعرف كيف تشترى المعلومة ومتى ... وعرفت اكثر مما تحتاج واكثر اهمية مما تتوقع .. .

ووجهت صفعة مدوية للمجلة ورئيس تحريرها . فى اجتماع مجلس الادارة الذى كان عاجلا فلم يكد يمر على سابقه اسبوع اوأكثر لبحث امر هام استجد فى السوق تكلمت بشأن الدعاية والاعلان الذى تقوم به المجلة للشركة مقابل مبلغ جيد وابدت استياءها من ضعف انتشارها وقلة قراءها مما يقلل من اهمية الدعاية والاعلان للشركة ... واتخد القرار بشبه اجماع "انهاء التعاقد مع المجلة فى الاعلانات والدعاية للشركة " . فى بداية شهر جديد كانت اعلانات شركة المقاولات والقرى السياحية " الكس ستار " تحتل صفحة كاملة فى جريدة الاخبار الشهيرة ومجلة اخرى نسائية .

---

(٢٤)

فى الخزنة الكبيرة فى الدور الثانى من فيلا الحاج سعيد البحيرى .... انهمك الرجل فى وضع عدة رزم من اوراق مالية كبيرة راح يرصها بعناية فى ركن الخزانة ثم ثبت بصره على علبة صغيرة مخفية فى ذلك الجيب السحرى من الخزانة . كانت علبة من القطيفة الفاخرة ملفوفة فى كيس بلاستيكى ، نظر حوله جيدا ثم راح فى هدوء يفض الكيس ويخرج العلبة الصغيرة . بعين كليلة بحث عن ذلك الزر الصغير ليقفز غطاء العلبة للاعلى ... تلتمع كتلة زجاجية بحجم حبة البندق بكل الوان الطيف على اطار فضى اللون لخاتم من الماس من اجمل مايكون .!

نظر اليه طويلا قربه الى وجهه وضعه على عينه المصابه . ثم تنهد . لف العلبة ثانية بعناية واعادها الى مكانها ..اغلق الخزينة بالمفتاحين وكلمة السر وقام من جلستة الى هذا المكتب ليفتح علبة السيجار الكوبى الفاخر .. اشتراه ليكمل صورة المكتب الفاخر ... بدا غير راض ... اغلقها مرة اخرى ، خرج حتى الباب بلاحذاء هبط السلالم ونادى على الحارس وهو متجه الى التربيعة الخارجية .

ياقبيصى ... هات الشيشة !

بينما هو جالس يعب صدره من دخان المعسل الاسود الثقيل اطلت سيارة زوجتة عند باب الفيلا المغلق فاسرع حارسة قبيصى ذو التقاطيع الحجرية بفتح الباب على مصراعية لتدخل سيارة الحاجة سعاد التى غيرت اسمها الى سعيده يقودها السائق الذى استأجرتة .

دار الرجل بالسيارة ليصل بها عند مدخل الفيلا ثم قفز بخفة رغم سنة ليفتح لها الباب . كان الحاج سعيد يتابع السيارة بعينين كليلتين - وهو يحبس نفس الدخان الكثيف فى صدره - حتى توقفت ثم أطلق مافى صدره زفيرا حارا .. وسعل سعالا خشنا ثم مال خلفة ليتفل بلغما !

---

(٢٥)

فى عزيمة وبعد شهور من البناء ارتفعت لافتة كبيرة عند مدخل بوابة ضخمة لمساحة شاسعة من الارض " الشركة المصرية الايطالية لتصنيع المستلزمات الكهربائية (ايجيتالكترو) " ..وقريبا سيتم افتتاح قريب لمصنع ومخزن فى المنطقة الصناعية الجديدة بالعامرية . جهد ونصيبه من شراكة العمل الذى تكفل به شعبان الحاوى .. وفى ايطاليا فى قاعة اجتماعات فى فندق "لابريما" تم التوقيع . توقيع عقد الشراكة النهائى بتفاصيله الكثيرة . وفى اعلان تأسيس الشركة وبدأ اعمالها فى مصر كانت صورة السنيور " مصطفى عبد الجواد " والذى ذكرته الصحافة باسم سنيور ماتسو وهو يوقع ممثلا عن الجانب الايطالى !!

صرخت احدى البنات : ياماما تعالى شوفى مصطفى ..

هبت الام من سريرها الى الصالة حيث وقفت الفتاة امام شاشة التلفاز الجديد مشدوهة .

فيه ايه يابت ماله مصطفى .!؟

جلست الام عند اول كرسى قابلها امام الشاشة تلتقط انفاسها ولم تستطع ان تخفى قلقها فراحت تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتدعو لابنها ان يحفظه الله ..

لم يكن مصطفى الذى عركته الايام وفهم كثيرا اطراف لعبة المال بالذى يجازف ولا الذى لايضع الامور فى نصابها الصحيح . كان تاجرا بمعنى الكلمة وكما يقولون" التاجر الشاطر يتاجر بفلوس غيره " ولا يأمن ماتؤل اليه الامور فى مصر فهو وان كان يحمل الجنسية الايطالية فهو مازال مصريا قلبا وقالبا وهذه الاخيرة يدرك تماما انها ليست فى صالحة خاصة انه يعرف جيدا مع من يتعامل وكيف تدار الامور فى مصر !

لقد اشرك صاحبة " تارديللى " الرجل واسع النفوذ بطريقة ما وضمن لنفسه شريكا قويا يحمى جانبة ويمثل الجانب الايطالى بشكل صريح فيضفى على الامر كله اتفاقية رسمية بين دولتين ! كانت صفحة رابحة انها صفقة الكل رابح ..ورغم تعجب المحامى شعبان من الشريك الذى ظهر فى اللحظة الاخيرة الا انه مضى فى استكمال الشراكة بعد ان اضطر الى المكوث بضعة ايام فى ايطاليا ليجلس مع طاقم الخبراء والمستشارين وشركة المحاماة الايطالية مع مترجمة مصرية شابة وفرتها له السفارة واثنين فقط من فريق عمله اصطحبهم معه !

نعم لم يستطع ان يخفى دهشتة من دقة التفاصيل وخبرة المستشارين الذين ناقشوا كل شىء واى شىء ..حتى تم التوقيع فى النهاية واعدت شركة الاعلانات الايطالية برومو الدعاية واعطتة نسخة منها فى خلال بضع ساعات !!

واغرق الاعلان وسائل الاعلام فى مصر الراديو والتلفزيون والصحافة .

ونقلت السيارات منتجات الشركة التى كانت فى البداية مستوردة بالكامل من ايطاليا وراحت تطوف الاسواق وتمتلىء بها ارفف المحلات ومخازن التجار كذلك لقيت قبولا واسعا عند الناس لجودتها ناهيك عن سعرها الذى كان تنافسيا فى ظل وجود صناعة محلية لم تتطور فى هذا المجال منذ عقود !!

ودارت عجلات الانتاج ... .ودارت معه ماكينة المال .. تضاعفت الملايين وقفزت الارباح الى حد مهول .....وفى ثورة بناء وتعمير مدن جديدة وقرى سياحية زاد الطلب حتى لم تعد الشركة قادرة على تلبية احتاجات السوق من كثرتها .... فتقرر افتتاح مصنع اخر ! .

وحين وافت عبد الجواد ابو مصطفى المنية ولم تفلح اموال مصطفى الذى صار يعرف باسم سنيور لافى ولااتصالاته ان تمنع قضاءا لاراد له . حملته طائره خاصة استأجرها لتعبر البحر ليتلقى العزاء فى والده ..

فى ذلك السرادق الفخم فى دار المناسبات وعلى دخان بخور المبخرة الضخمة فى مدخله وصوت قارىء الاسكندرية الاول توافدت وجوه كثيرة لايعرفها ولم يشاهدها من قبل راح كل واحد يقدم نفسه وشركته واحر التعازى ودمعة تكاد تسقط !

وقف شعبان الحاوى عضو مجلس الشعب يتلقى العزاء مع شريكه وبرقت كاميرات التصوير .

وفى اليوم التالى كتبت الصحافة عن سنيور لافى الايطالى او "مصطفى ابراهيم عبد الجواد " المصرى الذى لايعرفه الناس وصورت شارعه وبيته الذى كان يسكن فيه وعرف الجميع قصة مصرى سافر الى ايطاليا لايدرون كيف لكنه حقق نجاحا يجعل منه اسطورة . قصة واقعية للنجاح والثراء يحبها الناس تبعث فيهم الامل وتدغدغ مسامع الحالمين بالثراء والمال والحكاية صارت محببة الى قلوب الناس والكثيرين الذين يطمحون الى الثراء . تناولتها وسائل الاعلام وبين يوم وليلة اصبح اسم مصطفى ابراهيم عبد الجواد حديث القاصى والدانى ..

حيث نزل مصطفى فى فندق سيسل فى محطة الرمل وفى مواجهة بحر الاسكندرية امتد رصيف كورنيش البحر فى نصف دائرة تنتهى عند قلعة قايتباى كان يمكنة ان يرى تلك القوارب الساكنة على سطح البحر الوادع كبيرة وصغيرة جميعها تنتظر رحلتها القادمة . وكان يمكنة ان يتطلع بعينية بعيدا ليرى هذه البقعة البعيدة التى اعتاد ان يجلس فيها .. كان يمكنة طوال ليلة لم يذق فيها طعم النوم رغم كل الجهد الذى بذله ان يرى خيالات نفسه يسير على الماء الممتد امامه ثم يرى نفسه وقد انكمش فى قارب يحمله عبر البحر الى الجانب الاخر وصوت انفاسه اللاهثة تتردد كأنه يجرى ...

كان وجود شعبان الحاوى عضو مجلس الشعب قوة خفية تحرك الامور وتذلل الصعاب وتحل كل المشاكل ! كان الرجل يفك عقدة اشد الامور تعقيدا باتصال تلفونى .كما يمكنه ان يرسل مدير مكتبة مجدى الشحات الذى يشبة نجوم السينما فى اناقته وحضوره .. رجل افعوانى يعرف كل المداخل والمخارج ويعرف كل الثغرات .. والواقع انه سهل على رجل الاعمال الايطالى المصرى كثير من روتين اجراءات ومصاعب لاقبل له بها وهو الذى غادر كل هذا منذ سنوات ..

كانت فرصة ليصطحب امه واختية معه الى ايطاليا وتم كل شىء .

قضى مصطفى هذه الايام فى هذا الفندق العريق واحضر امه واختيه لتقيما معه . وهناك ايضا التقى شعبان الحاوى للمرة الاخيرة قبل سفره .كان الرجل بشهامة اهل اسكندرية قد عرض عليه ان ينزل بشقته الجديدة فى كليوبترا لكن مصطفى فضل البقاء فى الفندق ...ثم عرض عليه هذه المره ان يشترى له شقة فى عمارة كليوبترا معه فثمة بضعة شقق لم يتم بيعها بعد وقال انه يعرف صاحبة العمارة مالكة العقار ثم دار بينهما حديث مقتضب فى العمل ثم حديث قصير هامس فى امر جاد ..... وعلى بعد منهما يقف سكرتيره وحارسه الخاص رن احد هواتف الرجل بجوارة على المنضدة. التقط التليفون ونظر فى شاشته وابتسم....

-دنيا هانم !

---

(٢٦)

مبروك ياطارق باشا ".

"مبروك الترقية ياطارق باشا والله سعادتك تستاهل كل خير" . "

واستقبلت الاسكندرية مدير الامن الجديد الذى تسلم منصبة فى حركة الترقيات الجديدة اللواء طارق الوليلى . واستطاع باتصالاته ومعارفه ان يدبر امر نقل ولدية وابنته فى مراحل التعليم المختلفة وكما تقرر ان يقيم فى فيلا مدير الامن التابعة للمحافظة. كان يعرف جيدا ان فيلا الاقبال هى سكن يرتبط بمنصبة لذلك سعى فى شراء شقة جديدة تناسب منصبة الجديد وهو رجل يحب ان يحيا حياة طبيعية عادية ويعرف القيود التى ستفرضها عليه وظيفته الجديدة

عاد الرجل الى مدينتة محبوبته الاسكندرية حيث كان قد عمل فيها ضابطا لمباحث قسم المنتزة لسنوات . رجل مشهود له بالنزاهة والكفاءة . كان قد انتقل لتوه من بنى سويف حيث عمل مساعدا لمدير الامن فيها واستطاع بحكمة ورويه وبحضوره وشخصه ان يجنب المحافظة الكثير من المشكلات والخلافات التى لاتخلو محافظة فى صعيد مصر منها . لعل ذلك هو مااهله لان يتولى منصب مدير الامن فى عاصمة البلاد الثانية الاسكندرية على اتساعها وازدحامها . يالها من سعادة تلك التى كان يعيشها هذه اللحظة لقد عاد الى الاسكندرية ..كانت الاسكندرية عشقة ومحبتة وداره وموطنة . الاسكندرية التى شهدت سنوات عمره الاولى وصباه وصداقاته وقصة حبه . حين انتقل والدة الحاج عمران بتجارتة الى الاسكندرية شهدت مدرسة المنشية الابتدائية مقدم صبى جميل الطلعة ذكى جاء من الزقازيق الى الاسكندرية.

مازال الرجل يملك جسما رياضيا رشيقا وحركة ونشاطا لايكل رغم مروركل هذه السنوات . بضع شعرات بيض فقط عرفن الطريق الى شعره الغزير الذى يزين وجها مازال يحتفظ بهذه الابتسامة الهادئة والنظرة الواثقة

فى اول ايام استلامه العمل تسلل عقب غروب شمس ذلك اليوم خارجا فى قميص وبنطلون جينز وسار حتى وصل لطريق الكورنيش ومن هناك اشار الى احدى سيارات السرفيس التى تحمل الناس من شرق المدينة الى غربها من ابى قير الى بحرى وراس التين ...

ورغم ثقل المسئولية التى يعرف انه سيحملها الا انه كان سعيدا من داخله فهو يعرف المدينة كمن يعرف داره ويعرف اهلها جيدا ... فى هذا اليوم توقف عند ساحة المساجد عند مسجد ابى العباس والبوصيرى مر برجل كبير السن جالسا فى دكانه الصغير سلم عليه ومازحة قليلا اشترى شيئا ما ووضع فى يد الرجل ورقة بمئة جنية وهمس فى اذن الرجل ..

-" خلى الباقى ياحاج ناجى .... وادعى لى "

..... وقف على محطة الباص قليلا استمع الى مزاح بعض الصبيه باصواتهم العالية الخارجين لتوهم من احد المراكز التعليمية "السنتر" وهم يتندرون على طريقة المعلم الشهير .. وقفت فتاة غير بعيد وقد احاط فتى بخصرها يتحدثان حديثا هامسا ... وجلست امراة عجوز على رصيف الشارع حينما لم تجد كرسى المحطة فى مكانه فقد انتزعة احدما .... هز راسه بأسى

رأى هذا المبنى الجديد الذى يجاور المسجد العريق لم يكن قد رآه من قبل .. من المؤكد انه بنى فى تلك السنوات التى كان فيه بعيدا عن الاسكندرية ... كان شيئا فجا نشازا لاينسجم ولايناسب روعة وجلال وذكرى المكان ... كان هذا هو احساسه .. ضاق بالمكان فلم يكمل جولتة فى هذه الممرات التى تهبط اليها بدرجات السلم .. وقبيل الاذان الذى حان وقته دخل الى ساحة المسجد العريق وراح يمتع عينية بكل ركن فيه جلس فى ناحية بعيدة وراح يتابع بعينة الناس من فئات المجتمع تتجمع حتى امتلأ مايزيد على نصف المسجد الفسيح .كان كل ركن يذكره منذ ان كان طفلا غضا يصطحبه ابية الحاج عمران فى ايام الجمعة ليصلى . كانا يقطعان هذا الطريق الطويل من بيتهم فى شارع النصر يمران فى الطريق على "بساس" اقدم فرن للعيش الافرنجى فى الثغر . يضحك حين يذكر انه كان يشترى العيش الفينو وكان لابد ان ياكل واحدا فى طريقه الى البيت ..وكانا يمران على " كـوّنـة " اشهر من يصنع الجبن ... الجبنة التركية الرومية عشقة .. ثم الى شارع السوق الطويل الذى ينتهى الى مسجد ابى العباس المرسى والبوصيرى.

..انتبه من غفوته فى الذكريات حيت اذن المؤذن لصلاة العشاء . وانساب الصوت شجيا فسرت فى نفسه طمأنينة ... وراح يتمتم فى سره " الله اكبر .....الله اكبر..... اللهم صل على سيدنا محمد .." .

عند احد المحلات خلف ميدان المساجد اشترى ملء كيس كبير حلويات لاطفاله وطلب ان يستخدم التليفون ... ردت زوجته .

انت فين ياطارق ..؟ ..... اما تيجى عندى لك مفاجأه !!!!

---

(٢٧)

فى ايطاليا استحوذت ام مصطفى على باجيو الصغير كانت تقضى سحابة يومها معه لقد اعاد الصغير بحيويته اليها ضحكة افتقدتها منذ سنين .. كان شغلها الشاغل ومتعة حياتها فى ذلك البلد الغريب الذى افتقدت فيه دفء الحياة فى مصر وقرب الناس من بعضهم البعض ..ارادت ان تعوض سنوات اغتراب ابنها عنها بالقرب من ابنه وحفيدها الذى كان اشبة بابية كانه هو فى صغره .. كانت تنادية باسم " مصطفى ".. راحت تحكى له كما كانت تحكى لابنها مصطفى هذه القصص الطريفة قبل نومه راحت تعلمه العربيه التى مازال يجهل الكثير عنها . حتى اذا حل الليل اخذته لينام فى احضانها كما تفعل كل ام مصرية ... لم يكن يعجبها ان ينام الصغير فى حجرة بمفرده كما عودته امه .. حتى كان اليوم الذى ثارت فيه كريستين حين رات ابنها الصغير يقلد جدته وهى تصلى !

لا لم تكن كريستين متدينة اصلا ... كانت كاثوليكية ربما ، لكنها لم تكن تذهب الى الكنيسة ... لم يعد للدين مكان كبير فى مجتمعات اوروبا ، بضع مظاهر فقط هى التى بقيت تربط الناس بالدين . كانت كريستينا لايربطها بالمسيحية الا هذا الصليب الذهبى الذى تضعة زينه على صدرها . نساء العالم كلهن سواء .. فمشاعر امراة فى اقصى جنوب نابولى لاتختلف عن تلك التى فى قرية فى ريف مصر .. النساء تغار ..

ففى خلال هذين الشهرين كم مرة فاحت رائحة التقلية للملوخية والمحشى بورق العنب . وكل هذا الطعام الذى نشأ وترعرع عليه مصطفى الذى كان يعود مبكرا من عمله على غير عادتة ولم يعد يبيت فى الخارج باليومين والثلاثة كما اعتاد ان يفعل .. كان سعيدا بوجود امه واختيه لاول مرة يشعر بالسعاده ..... توارى هذا الشعور بالغربة ..ولى هذا الاحساس بانه لاينتمى الى هذا المكان ..

حكت له اخته عن دنيا حين سألها . ليلتها تقلب فى سريره ولم ينم ... لن يلومها فهو قد فعل نفس الشىء .. كيف يلومها وقد تخلى عنها ... كانت الواقع شيئا مريرا وكانت الطروف اقوى منه ومنها . حين غادر لم يكن لدية خيار اخر وحين تركها كان اهون عليه ان تقول عنه انه باع وخان على ان تقول خاب وتخاذل . كان اهون عليه ان يرى نفسه تكابد مرارة الغربة على ان يراها تقاسى مرارة العجز لقد رحل عن الاسكندرية واقسم الا يعود الا شيئا كبيرا لامعا .ومن وقتها وضع قلبه اسفل قدمية .....لقد قسوت على نفسك كثيرا يارجل قالها لنفسه وهو ينظر الى زوجتة الايطالية الغارقة فى سبات عميق .

.كانت امه معه فى بيته اجمل ماحدث له طوال هذه السنوات .. راح باجيو الصغير يحكى له قصة "جحا" التى حكتها له جدته بالامس هى ذات القصة التى سمعها مصطفى وهو صغير اضاف عليها باجيو لكنته الايطالية فضحك مصطفى حتى دمعت عيناه ...

اشعلت كريستين سيجاره !

عاد مصطفى كعادته من عمله فلم يكد يخطو داخل البيت حتى سمع هذا الصراخ ... وهذا الشجار الذى كان غريبا الى حد انه لايخلو من طرافة ... تصيح كريستين بالايطالية وتشتم وتسب وترد ام مصطفى واختيه بالعربية ولاهذا يعلم ماذا قال ذلك ولاذلك يفهم ماقال هذا ..

لكنه كان شجارا ... . لقد صفعت كريستين باجيو !!!! انها تعاقبة على شىء ما !!

تشاجرت نابولى مع الاسكندرية !

صرخت كريستين فى وجههم بالعربية : ده بيت انا !!

امطرتها احدى اخوات مصطفى بسيل من شتائم هى قطعة نثر بليغة من الشرشحة وفرش الملاية ! لادرى كيف يمكن لكريستين او لغيرها عبر الابيض المتوسط ان يترجم : " بقه انت ياهباب البرك ياكلاب السكك ياقيحة ياتلقيحة ياعرة الطلاينة .. تقوليلنا بره ! "

انت يا ..... " سيل .. صرخ فيها مصطفى لتسكت !!!

"وعينك وودانك ماتسمع الا الخير . اقسمت ام مصطفى ان تنزل مصر "

" وبكت على حظ ابنها ..... وبكت على حفيدها .... لكن كرامتها فوق كل اعتبار.

استعطفها لتبقى .... قبل قدميها ..... ترجاها ان تظل فى نابولى ... لن يحتمل رحيلها فقد ملأت عليه ايامه البارده كجليد الشتاء وهونت عليه غربته ....

اقسم انه سيشترى لها بيتا فى نابولى لتظل بجوارة اذا كانت لاتريد ان تبقى فى بيته او فى الحقيقة بيت كريستين !

رفضت ... فلم تكن تقوى على احتمال ان تكون فى بلد غريب مع بناتها . بلد لاتعرف لغته .. ولاتأمن اهله .....

رحلت امه وتركته ... عادت الى الاسكندرية .... كان قلبه حينها كأنه اعتاد على قسوة الفراق من طول سنوات الغربة . كان كأنما طوع نفسة على احتمال الفقد والرحيل والبعد ...

قلب من حديد ..... لكنه صدأ ، وملأته الشقوق . شىء ما انكسر فى داخله ... حتى تلك الخيوط الواهية من مشاعر زائفة كانت تربطه بكريستين قد تقطعت .

اعطى لامه مفتاح شقته الجديدة فى كليوبترا .. استقبلهم سكرتير شريكة شعبان الحاوى مجدى الشحات فى مطار النزهة بالاسكندرية فسهل لهم الاجراءات وفى دقائق كانوا فى طريقهم من مطار النزهة الى الشقة الجديدة فى كليوبترا . الشقة فى العمارة التى تملكها دنيا واشتراها شعبان الحاوى ليبيعها لمصطفى حين لم يسعفة الوقت !

"تاخرت كثيرا ... الساعة عدت ١٢ " !

(٢٨)

فى هذا اليوم دب شجار بين الدكتور خليل وزوجتة التى تاخرت لما بعد منتصف الليل . زوجتة التى لم يعد يراها . طلباته اصبحت تقضيها الشغالة الفلبينة التى تعمل كالآلة .. اصبح طريح الفراش معظم الوقت يتحرك ف الشقة الفسيحة على كرسى كهربائى .. لكنة اصبح حساسا وعصبيا ايضا . حتى القراءة - هوايته التى كان يلوذ بها من حياتة التى خلت من معنى ولاهدف- لم يعد يقوى عليها .! كان سرعان ماتجهد عيناه ... لم يكن من هواة سماع الراديو ولامشاهدة التلفاز ومع ذلك كان يجلس بالساعات امام شاشة التلفاز لكنة لم يكن يشاهدها ولايسمعها . كان فقط يفتقد صوتا اى صوت يملأ هذا الصمت وهذا الفراغ ..

ستة وعشرين عاما كان هو فرق السن بينهما .كانت فى زهرة انوثتها زادها الغنى جمالا وتألقا لم تهمل نفسها قط كانت تجد رغم كل هذا وقتا لتهب نفسها بعض سحر النساء امتلأت خزانة ملابسها بكل جديد وغال ... وتحلت اصابعها بافخر ماصنع من مجوهرات وحلى ..وعرفت كل بيوتات التجميل وصناعته . كانت قادرة على ان تدير هذا العالم الذى صنعته .. كانت سعيدة وفخورة بما انجزت لكن جرحا وشرخا لايراه احد سواها كان يقسمها نصفين .. جرحا لم يبرأ بعد . كان جرح ينزف دمعا مخفيا حين يصادف مشهد عاطفيا فى فيلم او طيف خيال فى الذاكرة التى تحفظ كل شىء رغم مرور السنوات الطوال ..

كانت تحيا الشىء وعكسه تتابها كل المشاعر وعكسها عادت من عملها ذات يوم سعيدة مسرورة وراحت ترقص فى طرب وتتمايل كانما كانت فى فرح سولى بنت الجيران رقصت حتى تعبت واستلقت على الاريكة فى الصالة الفسيحة وغلبها النعاس امام التلفاز فنامت .. نامت حتى الصباح ....

وبكت فى صمت حين تقوقعت على الفوتيل امام التلفاز حين شاهدت ذلك الفيلم الذى افترق فيه الحبيبان لان الاقدار شاءت .. اصبحت امراة حديدية تأمر فتطاع ، وتطلب فلايرد لها طلب لم تبك يوما على خسارة فى العمل ولا على مكيدة فى مجال البيزنس الذى لايخل من منافسة غير شريفة . ابدا لم تزرف دمعة واحدة فقد كانت تعلم تماما انها قادرة على ان ترد الصاع صاعين وان تتحدى كل شىء . لكنه فقط هذا الجزء الغض النابض فى هذا القلب الصلب هذا الجزء الذى لاتملكة والذى لم تفلح الايام ولا السنوات بقسوتها وحلاوتها بجميلها وقبيحها وبخيرها وشرها على ان تطوعة ..

كان العمل فقط الذى غمرت نفسها فيه وملأ حياتها هو ماينسيها قلب امرأة .ماينسيها مشاعر واحاسيس انثى . اصبح العمل كل حياتها واصبحت آله لجلب المال .تبحث عنه اينما وجد تفكر فيه ليل نهار . تشارك هذا المشروع وذاك . تشترى النسبة والسهم فى هذه الشركة وتلك المؤسسة . تبحث دوما عن الناجحين كانت تملك هذه الحاسة التى تريها الطريق حاسة لاتخل من حذر وفطنة "التاجر الناصح الذى يتاجر فى مال غيره " كانت حذرة كانها تتاجر بمال غيرها !! حتى ابنها لم تعد تراه كثيرا فقط لحظة ذهابة الى المدرسة حين ياخذه السائق الى المدرسة صباحا يمكنها ان تجد بعض الوقت تسأله عن مدرستة ودراستة تلك الاسئلة التقليدية .. كان طفلا صامتا خجولا منطويا لكنه كان جميلا ذكيا مطيعا .. كان يقضى وقته بين هذا الكم

من الدروس الخصوصية التى لايكاد يخل يوم من احدها يجد وقتا للعب ايضا انه ذلك الوقت الذى تسمح به له الفلبينية الحازمة فيجلس امام شاشة العاب الفيديو ليحلق عاليا فى دنيا اخرى بعيدة عن واقعة الصامت .يركب الطائرة يحلق فى سماء مليئة بالسحب الداكنة يطارد طائرات الاعداء يطلق عليها الصواريخ يمطرها بالرصاص يسقطها واحدة تلو الاخرى ...

امطرت شتاءا غزيرا كأن السماء تلقى عن اكتافها حمولة ثقيلة حملتها الرياح عبر المتوسط لتصبها ماءا شلالا .. جرت المياة فى الشوارغ كالسيول الجارفة .. غرقت احياء المدينة الساحلية ... غاصت جارة البحر فى الماء !! غرق رجل فى بالوعة مجارى الصرف وصعقت الكهرباء فتاة مرت بجوار عمود كهربى !!

فى ذلك اليوم صرخ فيها الدكتور خليل جادلتة كثيرا .. عاندت . لم يقو الرجل الذى جاوز السبعة والستين على الجدال – والذى كانت الخادمة قد اخبرتها الشغالة فى التليفون انه رفض ان ياخذ دواءة .

لمع برق فى السماء وتبعه رعد مزلزل كدوى المدافع فوق الرؤوس .

وفى ثورة غضب اراد ان يقوم من كرسية ... فسقط مغشيا عليه ! .

_**********

(٢٩)

فى القاعة الكبيرة فى مبنى مديرية الامن الجديدة ادى جميع الحضور التحية للواء طارق الوليلى مدير امن المحافظة عند دخوله فشكرهم بابتسامته المعهودة واشار للجميع بالجلوس .فى هذا الاجتماع الذى استمر قرابة ساعتين بقيادات الامن ومديرى ومأمورى الاقسام فى الاسكندرية وضع مدير الامن خطتة وتصوراته للمرحلة فاعطى التوجيهات واصدر التعليمات وشدد على الاجراءات وراح فى تركيز ونظرة ثاقبة يستمع الى تعليقات بعض الضباط غن بعض ماراد الاستفسار عنه . كانوا نخبة من اصحاب الكفاءات والخبرات . وكان يعرف بعضهم معرفة قريبة ممن سبق لهم العمل معه بل كان بعضهم فى الواقع زميلا وصديقا .

فى هذا الاجتماع اشار مدير الامن الى تقرير تلقاه من القاهره يتضمن احصائية ما تخص معلومات استخباراتية عن نسبة دخول المخدرات بانواعها من منافذ الاسكندرية والتى لوحظ ارتفاعها فى السنوات الاخيرة . وقد استمع الى تقرير واف ومفصل من رئيس شعبة العمليات عن مداهمة اوكار تجار المخدرات فى الفترة السابقة ثم الى التدريب الحديث الذى انتهى لتوه الذى حصلت عليه فرق الاقتحام والتفتيش كان العقيد احمد شلبى والذى يعرفه الجميع باسم شلبى الحديدى رجل نادر الوجود حقا بلياقة بدنية تشبة المستحيل وجسارة لانعرف الخوف وقلب لايخشى الموت . رجل تعجب ان كان له قلب ! حصل على ترقية استثنائية عن عملية تخليص رهائن انجزها بمفرده .قتل فيها الخاطفون الثلاثة واسر زعميهم !

رجل يحيا وحيدا مع ام اقعدها المرض واخت يكماء لاتتكلم ! لم يعد يأبة بالزواج وقد فشل فى بضع ارتباطات بالخطوبة .. حينما انتقل للعمل بالمديرية كان ذلك عقب استشهاد المقدم

مصطفى درويش فى تبادل كثيف لاطلاق النار مع المهربين فى حملة كبيرة فى غرب مطروح كان المهربين يتملكون اسلحة اتوماتيكية وسيارات دفع رباعية قوية استطاعوا بها ان يحدثوا خسائر كبيرة فى القوات . كان شيئا مؤسفا .. ولولا هذا التنسيق مع قوات الجيش لكانت الخسائر اكبر ..

كان اللواء طارق قد قضى يوما يتفحص فيه ملفات من يعملون فى محافظة الاسكندرية من قيادات الشرطة وراح ايضا يستعلم عن بعض الامور الخاصة ببعضهم فكان المقدم احمد شلبى من جملة من شملهم البحث ... كان قد بقى مع عدد من رجالات امن المحافظة بعد ان انصرف معظم الحاضرون وفى البهو الخارجى التقت عيناة بعينى اللواء طارق الذى كان يحرى حديثا جانبيا مع رجل ما يرتدى زيا مدنيا فاشار اليه !

كانت اشاره يفهم منها انه يود ان يكلمه ... فانتظر حتى انتهى من حواره مع الرجل وجاءه فوضع الكاب على راسه وأدى تحية رسمية جادة ... رد اللواء التحية بابتسامة ثم امسك به من ذراعه ودخل مكتبة ودار بينهما حديث طويل على فنجان قهوة بن محوج غامق .

---

(٣٠)

كانت دنيا تعلم ان هذا الرجل يحبها ... يقولون ان للمراه حاسة كقرون الاستشعار تدرك بها ان كان هذا الرجل او ذاك يحبها . حاسة يمكنها ان تنفد الى معاميع الرجل فتكشف ما توارى منها . حاسة تستجلى كل لفته وكل ومضة فى خلجاته .. هذا الرجل هو المهندس عادل عبد البر .تزين وجهه لحية خفيفة لرجل ملتزم خلوق هادىء الطباع تحضره دوما ابتسامه رجل عبقرى طاقة عمل جبارة ونشاط متوقد . التقته اول مرة منذ عدة اعوام حين كان هو من وضع تصميم عمارة كليوبترا التحفة المعمارية التى وضعت اسمه فى قائمة المبدعين من شباب المهندسين لكنه كان حينها يعمل لصالح شركة الانشاءات المتحدة ثم كان هو المهندس المسئول عن بعض انشاءات الشركة فى الساحل الشمالى .

المهندس عادل عبد البر رجل متزوج وله ولدان .. رجل يعمل بلا كلل او ملل ينسى نفسه فى العمل احيانا بل يمكنك ان تقول ان العمل هو معينه التى يستمد منها طاقته . بسيط فى ملبسه غير متكلف فى حديثه يميل كثيرا الى العزلة واجتناب الزحام .. يشغله العمل عن اكله وشرابه وعن نفسه وبيته وكل شىء حوله . الاشيئا واحدا... صلته بربه صلاته التى كان يقف فيها خاشغا منحنيا منفصلا عن كل شىء حوله .فى هذا المكتب الصغير المتواضع بضع كراس ومروحة قديمة تصدر صوتا كلما استدارت دورتها لتوزع هوائها على البضعة امتار .. ومكتبة صغيرة ضاقت ارففها بكتب ضخمة ومجلدات بالانجليزية والفرنسية كلها فى فن المعمار ... كان مكتبة هو صومعته وملاذه يمكث فيه اكثر مما يمكث فى بيته . فى الركن غلاية شاى صغيرة وسبرتاية لعمل القهوة وبضع برطمانات زجاجية فيها شاى وسكر وكركدية واشياء اخرى ... وبضع اكواب لاتشبة احداها الاخرى على الحائط تقويم سنوى قديم ربما لخمس او ستنوات مضت الصورة باهته تقع فى مواجهة الشباك حيث تتسلل الشمس الى هذا الظل النائم كل يوم طوال العصر . فيه وكان هو ايضا فاتحة الخير والسعد عليه على تواضعه وقلة اثاثة ،

فى هذا المكان وعلى هذه المنضدة خطت انامله اجمل ماابدعت انامل مهندس عبقرى .. وعلى هذه الكراسى الصغيرة التى تئن من قدمها جلس اصحاب شركات كبرى وملاك لقرى سياحية وزملاء مهنة ...

كان قد انتهى لتوه من الصلاة . ... ونفض المصلاة التى بهت لونها حين وضعت زوجته عليها الكلور لتغسلها !! ماكاد يضع قدمية فى الشيشب ويلتفت الى الركن ليصنع لنفسه كوب شاى حتى سمع صوت سيارة تقف امام البيت ثم كلاكس خفيف ..

اسرع الى الخارج ... مازالت الملعقة فى يده !!..... كانت بمفردها فى سيارتها البونتياك.

"استاذه دنيا ايه المفاجأه الحلوه دى ! اهلا اهلا ! "

فى حياتنا نعرف الكثير من الناس قد يكونوا اقارب اواصحاب اوزملاء فيى العمل اوحتى معرفة طريق يمكنك ان تصاحب الف صديق وان تجلس اليهم تتحدث معهم لكن ستجد ان ثمة من تطمئن اليه فتسر له بما يعتمل فى صدرك وتبوح له باسرارك وماينطوى عليه قلبك قد تعرف اولاتعرف سبب ذلك . هى ارواح مجندة .. انفس تآلفت .. شخص تشعر فى قرارة نقسك انه امين صادق فى نصحة لك . لانك تستشف محبته لك من افعاله قبل اقواله ومن صمته قبل كلامه .. هى اذا هكذا فاننا نبحث احيانا عمن يسمعنا فقط ، عمن يمنحنا اذت صاغية وقلب ينبض !

ترتاح الى عينية الخجولتين السمحتين الناظرتين بعيدا كانما تتفاديان اللقاء بعينيها . تطمئن الى ابتسامته الصابرة والى بساطته وعدم تكلفه . الى شىء فيه ينقصها ....

هو فقط من تسأله وتستشيره تطمئن لكلمته وهى من هى وعندها كثير من الخبراء فى مكاتبها وهى التى تعرف عديد من رجال الاعمال ويمكنها استشارتهم وشريكها القديم عضو مجلس الشعب الحالى لازال رهن اشارتها يحفظ لها دعمها له وسابق الشراكة التى وضعت فى حساباته فى البنوك ارقام كثيرة من ذوى الستة اصفار على اليمين ...

كان زاهدا فى الدنيا ولم تكن هى كذلك وكان يحيا يومه وكانت تود ان تمتلك اليوم والغد

كان رجلا لايعنية المال فعلى قدر ما ربح من عمله على مدى سنوات فقد وهب لولدية حياة تصل الى حد الترف بالنسبة اليه .كان لابنه الاكبر سيارة صغيرة اشتراها له وهو الذى لم يشتر لنفسه فى حياته دراجة وكان للصغير فى اولى سنوات الجامعة دراجة نارية موتوسيكل لايذكر انه ركبه ولو مرة واحدة خلف ولده الذى يطير به من شرق اسكندرية الى غربها !

كانت تناديه باسمه فيما بينهما .

-فاضى ياعادل !؟ عايزاك فى موضوع !

-ياسلام ! عينيا يااستاذة .. طب اشربك شاى الاول !

ابتسمت وهى ترى الملعقة فى يده .. موافقه بس نشربه فى حته تانية .!!!

فى هذا الباركينج الفسيح وحول حديقة جميلة وهدوء هارب من زحام وضوضاء المدينة فى السيارة طلبت قهوة وطلب شايا حديث طويل... حملة اليهم الفتى الذى يسير على باتيناج بخفة لاعبى السيرك ...

حديث طويل ... ضحكت فيه من قلبها .... ضحكت حتى دمعت عيناها حين حدثها عن طفولته وراح فى صراحة دون خجل يحكى عن اول حذاء اشترته له جدته وكيف انه لم يلبسه مخافة ان يتسخ فكان يضعة على السرير بجواره حين ينام .. وراح يلعب الكره حافيا كما اعتاد .. وجين خلعة مرة ووضعه جانبا ليلعب الكرة فى شارعهم .. ضاع الحذاء .. سرق .

كادت عيناها تقبل جبينه وعينية قبل ان تتركه عند اول شارعه .

سياتى الغد بجديد ..

---

(٣١)

حين سافرت امه الى مصر . عادت حياته الرتيبة القاحلة فى نابولى الى سابق عهدها . جزء اخر منه اقتطعته الايام ، تلاشى . ابتلعته سنوات الغربة وحين عادت اليه بعض روحه فرت منه . تركته وحيدا . وحيدا حتى وهو مع زوجته وولده . وحيدا فى مدينة كل شىء فيها يذكره بالاسكندرية . كان دوما يفتش فى داخله يبحث عن نفسه يبحث عن مصطفى الذى يفتقده ! لايمكن ان يخفى شعوره نحو كريستينا . لكن خيوطا كثيرة كانت تربطة بها لم يكن يملك ان يقطعها ولا ان يجازف بذلك لكنه كان يعلم ان يوما كهذا سيأتى ! كانت سببا فى رحيل امه قصدت او لم تقصد !.

فى هذا الصباح ترك مكتبة وخرج لايدرى الى اين ! فعل شيئا لم يفعله منذ عشرين عاما منذ وطئت قدماه ايطاليا لاول مرة خائفا هاربا لايعرف احدا فقط بضع كلمات بالايطالية وانجليزية تستعصى على فهم الاديب !!اغلق تليفونه . اخذ مفاتيح السيارة من السائق واشار لحارسه الخاص الا يتبعه !وخرج لايدرى الى أين .

ركن سيارته بعيدا ونزل على قدمية .. سار كثيرا ... عاد بذاكرته الى رحلاته الطويلة فى ايام صباه الى المسافات الصعبة على التصديق التى كان يقطعها سيرا على الاقدام او بسيارة البضاعة بين المحافظات . وهو صغير حين تهدم البيت القديم الذى كانوا يسكنون فيه وانتقلوا للعيش فى شرق الاسكندرية فى سيدى بشر كانت خلاء ورمالا صفراء وبحرا مفتوحا قاحلا تطل عليه مبان خشبية عشوائية لاتقارن بتلك الرائعة عند ابى العباس ولابحرى وراس التين . كان ابن احد عشر عاما حين سار من سيدى بشر حتى المنشية فى الصباح الباكر . دق باب اصحابه واحدا تلو الاخر سلم عليهم قضى النهار معهم ... وعاد فى المساء بنفس الطريقة سيرا على الاقدام من المنشية حتى سيدى بشر .

فى نابولى القديمة سار على قدمية من ..... لم تغريه ساحة "ديل بلبيسكو" التى بدت امام عينية ولا هذا الزحام امام Da michillie افضل من يصنع البيتزا فى نابولى ... سار نحو

الاماكن التى عاشت فيه هنا .. فقط ذهب الى الميتاء وعلى الكورنيش سار تطر الى صفحة ماء البحر الازرق الصافى تطلع بنظره الى الافق هناك بعيدا بعيدا خلف هذا الافق عابرا بخياله وتنسم عبيرا من هواء الاسكندرية . غاصت روحه فى هذا الاثير تحررت انفاسه المختنقه ....استسلم للحظة وللمكان وللذكرى فاحس بهذا الضيق ينزاح عن صدره قليلا ... .

رائحة قهوة او كابتشينو . تذكر انه فى حاجة الى فنجان قهوة . وتذكر مكانا لم يره منذ سنوات فقام من كرسية على شاطى البحر وسار بخطوات ابن الحادية عشرة الذى قطع الطريق من شرق اسكندرية الى غربها جيئة وذهابا فى يوم . سار الى الكامورا الى الحى الاسبانى فى نابولى الحى الذى عاش فيه سنواته الاولى . دخل هذه الكافيتريا الذتى تشبة قهوه شيكو فى بحرى او قهوة الدكش فى العطارين لكن هذه مر على ....يف دكانه وقف على الرصيف ينظر الى الجالس بالداخل على مكتبة . قام الرجل فى البدء ببطء متشككا فى مايرى ثم ماكاد بلمح ابتسامه الواقف ينظر اليه ويفتح ذراعية حتى هب من مكانه واسرع الى الخارج وعلى رصيف فى شارع لااسم له فى الحى الاسبانى الكامورا فى نابولى تعانق الرجلان كصديقين التقينا فى المنشية فى شارع فرنسا فى باكوس فى اى حى من احياء الاسكندرية .

-موسيتافا "مصطفى" ..وبلكنة ليبية " ايه يارا " .

"لجريبى المزداوى" الليبى الذى عاشا سويا فى هذا الجحر البعيد عن اعين الحكومة واعين رحال القذافى الرئيس الليبى الذى فر من ليبيا بسببه . فر من ليبيا من اجل قصيدة قالها ينتقد فيها الرئيس الذى ثار على الملكية ليصبح رئيسا امبراطوريا !! يضحك حين يحكى له القصة ويقول بيت الشعر الذى وصف فيه القذافى . طار الرجل به فرحا فى هذا المكان المتواضع فى هذا الحى الذى يشبة ازقة وشوراع الاسكندرية القديمة . تكلما بالعربية والايطالية وبلهجة ليبيا وبلهجة الاسكندرية ضحكا حتى ابتلت العيون سعادة شرب الشيشة المصرية لاول مرة منذ سنوات وشرب شاى فى الخمسينه بالنعناع المجفف الصحراوى كذلك الذى كان كلما ذهب الى مطروح احضر منه لامه وجيرانها الى جانب اللب الذى تشتهر به مطروح . كان سعيدا لما راى صاحبة المزداوى يضحك ملء عيونه . والسعادة تنتقل كالعدوى مثلها مثل الحزن . انجلت غيمة حزن .... مرت ساعة كاملة .. كانت ضحكاتهم العالية وذكرياتهم التى جمعتهم تفجر الضحكات فتضفى جوا بهيجا على المكان الذى كانه فيه بضعة زبائن راحوا بين الحين والاخر يبتسمون لرؤية الرجلين يضحكون بسعادة ..

كاد ينسى اين ركن سيارته .. ! احس بالجوع !
راى هذا الكافيه الصغير عرف انه يقدم السفوليا تيلا قبل ان يدخل . صنف من المخبوزات محشو بالجبن الموتساريلا . وهناك رأها .. كانت هى تجلس على احد الكراسى الموضوعة فى صف تذكره بترام الرمل تشرب شيئا ما وثمة بقابا ساندوتش على الطبق امامها . تردد فى البداية حين لم تره . لعلها تنتظر احدا ما .. راح يتطلع اليها فى حين راح عامل الكافيتيرا يعد له الكابتشينو وقد وضع امامه قطعة السفوليا تيلا ...

اشارت بيدها حين راته وابتسامه رائعة تطل على وجهها .. ابتسامة لم تغيرها السنوات حين كانت تعمل لدية فى مشروع المزرعة انها الفتاة الايطالية الشقراء التى غارت منها كرستينا . خبيرة الزراعة الشابة .

كان يوما استثنائيا ... لاينكر انه سعيد بلقائها ..حكت له عن حياتها . اخبرته بقصة ارتباط فاشل انتهت قبل ان يتزوجا ادهشه انها تصارحه بقصة حياتها لكنه تذكر انها كانت هكذا منذ سنوات حين كانت تدير مزرعته كانت هذه العفوية والانطلاقة وروح ايطاليا التى عرفها فيها من اول يوم راها . قالت انها سعيدة من اجله وانها تعرف بنجاحه .. كاد يقول شيئا كالاعتذار لكنها كانها فهمت ماسيقول .. فلامست يده بيدها كانما تربت عليه وتقول لاداعى فانا اتفهم !

-تحدثا طويلا حتى نظرت فى ساعتها فقاما سويا . سارت بجواره فى شوارع نابولى بين جموع السائحين الذين ملاوا الطرقات فى هذا الوقت من العام . مروا بشاب وفتاة احاطت يدها بخصره واحاط كتفها بيده . ماكادا يدخلان ساحة .... بارضيتها من قوالب ملساء حتى امسكت بيده ... وحتى الطريق الى السيارة كانت يده بيدها .

لم يستغرق الطريق الى حيث ارادت الذهاب بضع دقائق . كان مقرا لوكالة تعمل فى شيىء خاص بتوريد الات زراعية واشياء من هذا القبيل . نظرت فى ساعتها حين اوقف السيارة . كانت الثالثة الا عشر دقائق .

خيمت لحظة صمت . كلحظات الصمت قبل اوقات الفراق طأطأت براسها وعبثت بخاتم فضى فى اصبع ابهامها .

اعطتة كارت الشركة ومنشور دعايه لها ثم غادرت مسرعة !! .

---

(٣٢)

الخواجة "مساك " اليونانى هو واحد من اليونانيين القلائل الذيم مازالوا يعتبرون الاسكندرية بلدهم محياهم ومماتهم مازال الرجل يدير محله الكبير للمجوهرات واشغال الذهب فى اول شارع فرنسا رجل يعرف الاسكندرية كما يعرف احدنا خطوط كف يده . يعرف العائلات العريقة والغنية يعرف تاريخها واماكن سكنها . كان يعمل عند تاجر يهودى من هؤلاء التجار اليهود الذين كادوا يحتكرون هذه التجارة . تعلم منه الصنعة وعرف اسرارها . كان يحمل شنطة الذهب ليطوف على بيوت كبار الاثرياء فى الاسكندرية . يرسله عساف صروف ويلقنه الحوار الذى ينبغى ان يديره والكلمات التى يجب ان ينطقها . كل همسة وكل كلمة بحساب ! . اصبح حينها وهو فتى لم يتجاوز الثمانية عشر عاما يعرف تاريخ الاماكن . تعجب حين تجده جالسا فى احد المقاهى وهو يحكى وحوله عدد من الناس ينصتون اليه بشغف لايمكنك ان تقول ان هذ ا الرجل يونانيا فى الاصل . رجل لم تطاله يد التأميم فى الثورة ببساطة لانه لم يكن يملك كثيرا حينها . ولم يفزع كما فزع غيره فبادروا الى الخروج من مصر .. الرجل بقى فى

الاسكندرية سكندريا لايمكنك ان تفرقه عن اهلها الذين تملكوا زمامها وتجارتها . "مساك " كان يجلس فى القهوة يصرخ فى الجالس اماه يلاعبه الدومينو فليقى الحجر الابيض من يده على احد اطراف رصة الدومينو " قفلت ياغشيم .... " ياسلامه .. خد منه الحساب " هو اول يونانى ينطق الكلمة بحرف الحاء وليس الخاء !! كان يعرف كل ارباب التجارة والصناعة والحرفيين فى المدينة . خدوما لبقا وقد يدلك اويصحبك وان تشترى شيئا ما من احد التجار فيوفر لك سعرا جيدا واستقبالا لطيفا فالكل يعرفه ... .

كان ياكل فطير بالسكر بالحليب من عربة ..... فى شارع فرنسا منذ ان كان شابا عادة لم يتخل عنها حتى بعد ان اصبح اسما فى عالم الذهب يتسلل من محلاته ليجلس الى عم صابر الرجل العجوز الذى يعرفه جيدا على هذه المنضدة الصغيرة على رصيف حائط دكان مهجور يتحادثان حديثا ضاحكا باسما .. مازال مساك يناديه عم صابر ومازال صابر يناديه مساك ...

محل الذهب فى شارع فرنسا كانه سوبر ماركت من الزحام ! الرجل سمعته وعلاقاته وهذا الخليط العجيب فى شخصيته جعل له كاريزما آسره .

يجلس فى زاوية المحل الكبير بكوفيته التى لايخلعها صيف ولاشتاءا يرقب بعين كليلة من خلف نظارة معلقة على اطراف اذنية وعند منتهى انفه .. يشارك عماله احيانا حوار مع بعض الزبائن

كانت سعاد العمشة قد بدات تشترى منه كان لديها نهم لشراء الذهب تزين به يديها بشكل فج دستة غوايش . تشخلل فى يدها كالدف . و "ماشاء الله" كبيرة تتدلى بسلسة على صدرها المكتنز . احبت ان يخاطبها بلقب هانم . كان يعرف انها امراة تدفع بلاحساب كان يمكنه ان يقنعها بشراء اى شىء . اشار الى خاتم فى يدها وابدى اعجابه به ومدح كثيرا فى خليل اختيارها . وباشارة فهمت انه يريد ان يراه فخلعته من يدها . فوضع العدسة على احدى عينية وانهمك يقلب كل وجه للخاتم تحت العدسة المكبرة ..

سالها السؤال الذى توقعته بحس امراة .. اخبرته انها اشترته من محل لاتذكر اسمه فى ايتاى البارود حيث تسكن اختها زوجة محمد بيك غانم .. ضحك الرجل ولم يعلق .

كان خاتما مطعما بثلاثة فصوص متساوية من الماس الحقيقى كل ماسة بلون وردى نادر تساوى ثروة !

وهكذا عرفت سعاد العمشة الخواجة "مساك "

فى ذلك اليوم البعيد فى برج "المقدسى " بالمنتزة وفى يوم كانت امطار شتاء اخر نوة فى الاسكندرية قد بللت الشوارع بزخات مطر خفيف لكنه متواصل قلت فيه حركة الناس وكاد ليل الاسكندرية ينتصف حين ركن الرجل ذو العباءة سيارته الفارهه امام البرج وتدثر بعباءته التى القاها خلف كتفيه وضم يدية على جانبى بذلتة التى لم يستطع ان يقفل زرها وتدلى ببطء خارجا منها وانفتح الباب على الجهة المقابلة لتنزل منه امراة .

اسرع ... ليفتح له باب المصعد وهو يبتسم ابتسامة خبيثة وينظر الى المراة التى بادلته نظرة وقحة متعالية وهى تخطو مسرعة نحو المصعد وتضم المعطف الثقيل الى الثوب الذى بدا

بعضه فى لون احمر صارخ .. كان واضحا انها احدى بائعات الهوى اقتنصها الرجل من سهرته فى الاماكن التى كان يقضى فيها الليل حتى ساعة متأخرة .

حدث كل شىء بسرعة فى هذه الليلة ... كان سعيد قد انتهى لتوه من الحجر الاول فى الشيشة الصغيرة التى يحملها بيده عبارة عن برطمان وخرطوم مياه حين انفتح باب المصعد وهرولت منه المراة التى صعدت منذ اقل من ساعة .

ابتسم فى سره وقال " بسرعه كده !١" ثم تصاعد الى ذهنة هاجس كلسع نار الجوزة فاسرع صاعدا الى الدور الرابع دق جرس الباب سمع انينا بالداخل وسمع شخصا يتهاوى ثم خطوات آتية . وانفتح الباب كان الرجل غارقا فى دمة بثيابه الداخلية يضع يده على راسه فتشغب دما ...

" شف شف ياسعيد .. هاى بنت الشرموطة ضربتنى .. " ثم مشى خطوتين الى الداخل وتهاوى الى الارض مغمى عليه ! وراح جرح راسه ينزف بشده على الارض ..

وقف سعيد فى حيرة من امره فى البداية .. كيف يتصرف .. حينها فقط حضره الشيطان ووسوس اليه بالذى دار بذهنه مرات كثيرة وهو يقرقع الجوزة فى الانفاس التى يطعمها بقطعة حشيش قبل ان ينام قبيل الصبح ...

كانت انفاس الرجل تضيق وروحة تسحب منه مع كل قطرة دم تنزف من جسده المكتنز ... عدة زجاجات بيرة وزجاجة خمر يذكر سعيد انها اشتراها له من محطة الرمل لم يصدق حينها ان سعرها يماثل اجره كاملا فى شهر ...

اسرع فى خفة فالتقط شنطة مخفية فى دولابه .. ثم التقط مفتاحا من مفاتيح الرجل باطراف اصابعه وعبث باحد الادراج التى كان يعرف ان الرجل يضع فيها شيئا ثمينا ..

وجد بضع رزم من الدولارات من فئة المئة دولار فاخذها . الغريب انه وجد بينها اوراق نقد عربية خليجة لايعرف بالضبط من اى بلد لكنها عربية تركها .!! بل ترك ايضا المصرية منها !!! وفى بحثة المحموم وجد كيسا اسودا صغيرا من القطيفة لم يكن يعرف حينها مايحتوية لكنه ادرك بحاستة ان يحوى شيئا ثمينا فوضعه فى جيبة .. خرج سريعا الى الصالة فوجد الرجل مازال ممددا على الارض ينزف .. ولعل ماتجرعة الرجل من كحول كان سببا فى شدة نزفه

كانت الشنطة مكتظة بالذهب ثقيلة تحتوى سبائكا وبعض مشغولات قيمة كان فيها ماسة كبيرة موضوعة فى علبه !

كان سعيد يعلم حين اخبره الرجل فى غمره سكره ذات يوم وهو جالس يعد له شيئا ويساعده فى بعض شئونه . انه سحب ايداعاته .. ثم راح يغنى افتح ياسمسم ويقول وهو يقهقه

-" ترى .. سمسم جوه " ...

فى ظهر اليوم التالى امتلات العمارة برجال البوليس . قتيل فى الشقة ٢٠٢ فى الدور الرابع ...

(٣٣)

حين سألته الحاجة سعاد اى تجارة تجمعه بهؤلاء البدو القادمين من مطروح او السلوم على مافهمت من ازيائهم ..اخبرها بكلمات مقتضبة انهم يشترون خشبا !

اسكتها رنين التليفون بجواره . فراحت ترقب بعينيها الضيقتين كل لمحة من تعابير زوجها .. وكلماته الحادة القصيرة ... رأت ملامح صفحة وجهه المتجهمة تنبسط و ابتسامه رضا كشفت شفتية الغليظتين عن اسنان كدر الدخان لونها...

قام فى التو ونادى على قبيصى

-ياقبيصى قول للسواق ده يجهز العربية .

قام بخفة شاب عشرينى مسرعا الى الداخل تاركا الشيشة وعليها حجر كان قد وضعه لتوه مازال دخانه الحى يتسرب من فتحات الطربوش الموضوع على الحجر ...! .. مازال الرجل رغم سنوات عمره التى جاوزت الخمسين يحتفظ ببنية قوية ، صلبت عوده ايام صباه وشبابه الاولى التى كان يطوف بها فى القرى حاملا صرة الملابس الضخمة على كتفه يطوف بها فى القرى النائية والنجوع .. ولم يكن الرجل اكولا حتى بعد ان سالت الاموال بين يدية واصبح من ذوى الاملاك ورجلا له عزوة وكلمة..كان يخليل اختيار تجارتة لم يفقد حس التاجر الذى يتخير الرابح منها فيقتنصة ويركب جياده .. كان المبانى لعبته المفضلة ينتقى السماسرة له البيوت المتهالكة التى يريد اصحابها ان يبيعوها فى مواقع مميزة فى المدينة فيهدمها ويبنى مكانها برجا سكنيا او عمارة فاخرة ثلاث من هذه العمارات الفاخرة كانوا من ابداعات وتصميم المهندس عادل عبد الراضى العبقرى حين كان يعمل فى مكتب الشركة وقتها .. وهكذا اصبح الرجل يمتلك عددا من العمارات والعقارات واراض فضاء فى افضل المواقع فى المدينة الساحلية . ثم نشاطا محدودا فى تجارة الاخشاب راح ينمو ويكبر ليواكب احتاجات السوق المتزايدة فى عصر بدات فيه فورة فى البناء والعمران الجديد فى كل ارجاء مصر ...

و ابدا لم يكن يضع امواله الطائلة هذه فى بنك !!

تبعته المراة بعينيها حتى تورارى خلف البواية الحديدية الضخمة للبيت فامسكت بالجوزة وشدت نفسا عميقا نفثت دخانه فى الفضاء الفسيح ..

فى الجمرك كانت عشر سيارت لورى تنتظر خارج بوابة الجمرك لتحمل شحنة الاخشاب التى وصلت الى الميناء . تجارة يكاد الرجل يستأثر بها الان بعد ان اصبح يستورد اطنانا منها كان البناء والعمران فى كل مكان فى الاسكندرية احياء جديدة ظهرت فى شرق وغرب الاسكندرية والاف بل عشرات الالاف هجروا القرى وحلوا بالمدينة ليجدوا عملا حيث يوجد الكثير منه فى المدن .. الاف يخرجون الى المساحات الكبيرة التى كانت من قبل صحراء اوارض فراغ او حتى ارض زراعية امتلات اعمدة خرسانية ومبان . عمل كثير لهؤلاء الذين اتوا من الريف لايملكون حرفة اومهارة فوجدوا عملا لايحتاج الى الا عافيتهم وسواعدهم . قرى سياحية ومنتجعات امتدت على البحر الى الغرب من الاسكندرية على الساحل الرملى الجميل

وراحت تتمدد ناحية مطروح قرى من كل نوع وصنف قرى للصفوة وقرى للخاصة قرى للنقابة الفلانية و الهيئة العلانية .. منتجع ... اتحاد لادرى ماذا التابع لوزارة كذا .. قرى سياحية لكل مايمكن تخيلة من فئات المجتمع وهيئاته ووزاراته صار المجتمع نحو انفتاح على الدنيا ومعيشة تعوض ايام لم يكن فيها مسموحا بالترف !

طفت طائفة على سطح المجتمع امتلكت رؤوس الاموال وتغيرت الامور اختلفت المفاهيم تورات مهن وتصدر المشهد مهن اخرى... لم تعد الوظيفة الحكومية شيئا معتبرا لم يعد لاصحابها القدرة على مجابهة فورة التغيير الذى عصفت بكثير . توارت اسماء العائلات ذات الاسم والصيت وحل محلها اصحاب الزمن الحالى تبدلت الاسماء التى كانت تحمل تاريخا ماضى لرجالات صناعة وتجارة واسماء عائلات كانت تملك اراض شاسعة باسماء اخرى لزمن جديد له قوانينه واهله .... البناء و الاستيراد فورة وثورة وفرصة اقتنصها اهلها .. وزحف العمران وبدا الزحام .

وفرض الزمن الجديد ذوقه ومذاقه .غنى شاب اسمر " السح الدح امبوه " فسمعها الناس اكثر مما سمعوا اغنية ام كلثوم الجديدة بالفصحى "من اجل عينيك " ! .

لم يكن سعيد البحيرى او الحاج سعيد يخطط لان يكون معروفا ولامشهورا كان يعمد الى ان يتوارى فى بداياته لكن متى كان المال والتجارة لاتنبىء عن صاحبها ! . كان الى جانب تجارتة فى الاخشاب التى لم تكن فى الواقع تحتاج الى خبرة كبيرة ولا شركة بموظفين من اصحاب ربطة العنق والقمصان البيضاء . كان اكثر عماله وموظفيه هم بلدياته من البحيرة من القرى ومن الصعايدة الذين يكادون يعرفون كل شبر فى الميناء وكل تجارة رائحة وغادية . اصبح الرجل اسما لامعا معروفا ... وكان له رجاله الذين فتح لهم بيوتهم واغدق عليهم من ارباح تجارة الاخشاب وتجارة اخرى فى السر عرف اسرارها ومكاسبها المهولة حيث كانت طرب الحشيش تمر من وقت لاخر مع شحنات الاخشاب التى يستوردها ثم تنقلها اللوريات الى اسواقها ..

انه عصر الانفتاح .. عصر التغيير .. الجديد الاتى سيكون هناك احزاب وانتخابات سيكون هناك ناخبين واصوات ودوائر انتخابية وقوائم سيكون هناك مرشحين يتحدثون باسم الشعب .... من الشعب والى الشعب .. .

ذات يوم زاره رجل مهم .. اخبره انه مطلوب منه ان يرشح نفسه فى الانتخابات !

مطلوب منه ! انها اوامر عليا اذا . لقد طلبوا منه ان يرشح نفسه وهم سيدعمونه . قال له الرجل انهم سيدعمونه . كان يمكنه ببساطة ان يعرف من هم ..!ولماذا يدعموه ويعرف الان لماذا اختاروه ! وحين ادارها فى راسه وحسبها حساب التاجر الناصح كانت فرصة جائت اليه على طبق من ذهب . كان منافسه الدكتور مصطفى الثبيتى رجلا معارضا مثقفا صاحب تاريخ فى العمل الوطنى يساريا ينتمى الى احد الاحزاب القديمة وكان رجلا يملك شعبية فى منطقته ودائرته ....

ودخل سعيد البحيرى الانتخابات

(٣٤)

تبسمت حين ناداها " ياهانم " .. كانت قد ركنت سيارتها الفاخرة على الرصيف المقابل لبيتهم حين ارادت اختها ان تاخذ شيئا من شقتهم القديمة التى لم يقربها احد منذ سبع سنوات بعد ان انتقلت للعيش فى الشقة التى وفرتها لهم فى احدى العمارات التى بنتها حديثا .. حدث تغير كبير فى منطقة سكنهم القديم .. وظلت بضع اشياء تقف بعناد تقاوم التغيير حتى اصبحت غريبة فى وسط هذا الناشىء الجديد . بقى بيتهم وبيتين اخرين فى الشارع بين هذه الابراج التى برزت فطالت السماء ! يسكنها اناس لايعرفون بعضهم البعض

كان هو خطيبها السابق سائق الميكروباس الذى تركت له خاتم الخطوبة فى نهاية احدى رحلاته المتكررة بعد .... لكنه الان خرج لتوه من الباب الزجاجى الفاخر لمعرض السيارات الذى احتل الرصيف الذى علته عدة سيارات جديدة تراصت باناقة .

شرفينا ياهانم : قالها بابتسامة سمحة وعيون ودودة لم تملك دنيا وقد اخذتها المفاجاة الا ان تبتسم وترفع عين عينيها النظارة السوداء التى كانت تحجب ابتسامة عينيها ايضا .. " ميدو موتور "" اذا هذا المعرض الفاخر ملك له فهذ اسمه كانت تعرف انه كان مشهور باسم ميدو ...

شىء ما دفعها لتقبل دعوته ربما الفضول ربما سماحة نفس تجاه شخص لم يسىء اليها ابدا وربما اسئلة كانت تجول بخاطرها ارادت ان تعرف لها اجوبة بعد كل هذه المدة .. تعجبت حين رات فتاة جميلة اسرعت لتحييها ولتسألها ماذا تشرب : .

-جميلة بنتى !قالها وهو يضع يده على كتف ابنته

-ماشاء الله اسم على مسمى .

- والتفت الى ابنته طالبا منها ان تعد فنجانين قهوة ... كانت فرصة للحوار والاستفسار عن تلك السيارة الصغيرة الايطالية المميزة التى لفتت نظرها ...كان فى بذة زرقاء انيقة يحتفظ برشاقة فتى وبنية شاب ونظرة طيبة تفيض رضا وكانت تلمح هذه النظرة الطيبة فى عينية وخط الشيب الابيض على جانبى راسه والذى لم تخفه الصبغات ثم على وقع رشفات القهوة حكى لها بتلقائية..

لقد تزوج بامراة سعيد الميكانيكى بعد ان رحل الاخير تاركا كل شىء لزوجتة الشابه والتى انجب منها ولدا معاقا ..حكى لها عن تجارة السيارات وكيف انه حول الورشة الى معرض سيارات وكيف تخليل ت الاحوال حين اصبح يبيع سيارات الميكروباس التى تزايد الطلب عليها واصبحت تنقل الناس داخل وخارج المدينة التى تضاعف سكانها وازداد عمرانها شرقا وغربا .

ارادت ان تقول له شيئا غير كلمات الشكر وهى تضع فنجان القهوة فلم تستطع لكنها مدت يدها لتصافحه وكان الصمت ابلغ .

ظلت صامتة طوال الطريق شبة الخالى فى هذه الساعة من النهار فقط موسيقى كدقات طبول الحرب وخيالات صور لقسم شرطة وصراخ وصوت لطمات وليل مخيف وطريق موحش

لاتكاد قدماها وقدم امها تحتمل السير فيه وصوت امها عبر السنوات " الله يسترك ياميدو يابنى ... " حين توقف ليصطحبهم بسيارته للبيت ..... وبكاء دفين ودموع حرى !

- سنيور لافى لايدرى متى بدا هذا الاسم الذى اصبح ملازما له .هل هى الصحافة التى لاينقطع تعامله معها ام اهل مدينته الصغيرة ومجتمعه الذى انخرط فيه واصبح واحدا منهم يتكلم بلسانهم ويعبر عن رايهم للجهات الاعلى . ماعلاقة مصطفى ب لافى " يبتسم فى نفسه وهو يردد الاسم فى همس " فى العام السابق حين كان عضو " الكاميرا ديبيتاتى " البرلمان المرشح عن مدينتهم يطوف فى احدى جولاته الانتخابيه دار بينهما حديث تناقلته وسائل اعلام اجتمع الرجل بعدها باهل الضاحية فى فناء داره .دار مصطفى الحديقة انسعت لهذا العدد الذى ابدى اهتماما بالحضور . انها الانتخابات التى يهتم لها الشعب فى ابطاليا . حين ازدانت الحديقة باعلام ايطاليا

وبدا كما لو انه عرس ومناسبة سعيدة وفرصة للدعاية لشركاته قررت كريستينا ان تجعله كذلك

حين طلب المرشح ان يسمع لكلمات الناس وطلباتهم كان هو ثانى المتحدثين بعد رجل كبير فى السن حضر وهو يرتدى بذة عسكرية قديمة تعلوها عدة نياشين . كان من المحاربين القدامى وكان يجلس فى الصف الاول من صفوف الكراسى التى رصت فى الحديقة للحضور .

تحدث مصطفى بلغة واضحة متمكنة كانها لرجل ولد فى ايطاليا ويعرف مايريد اهل جيرته والاكثر من ذلك ماقدمة من اقتراح باقامة بعض المنشات الخدمية جمعية تعاونية واشياءا من هذا القبيل وكانت ثمة بضع افكار فكرة مبتكرة تهدف الى خدمة المنطقة .. التى تمثل فى البعيدة من مدينة نابولى , الواقع اطراف المدينه

وبدا ان لسنيور لافى حضور وكاريزما وتحدثت لغة المصالح بلسان فصيح فلم يمر طويل حتى كان ماطلبه اهل جيرته وماقترحه قيد التنفيذ ..... وعقدت صفقه ..كان المرشح هو بعينة فرانشيسكو ادواردو ملك صناعة السيراميك الايطالى .

لم يكن من الصعب ان يجد شركاء له فى مصر بل انه فى الواقع هو من كان يبحث عن شركاء فلم يكن يستطيع ان ينفق وقته فى عمل كهذا بعيدا عن بيته وعمله الرئيسى فى ايطاليا ،لكنه هذا الحنين الذى يربطة بمدينته هذا العشق الكامن بين ضلوعه .

وعند ناحية من اطراف مدينة الاسكندرية وضع اساس مصنع صغير للسيراميك امتلك هو اربعة وخمسين فى المائة من اسهمه ... وطارت الماكينات والمواد الاولية من ايطاليا الى مصر

وفى فندق سيسل اجتمع الشركاء للمرة الثانية بعد ان انهى المحامون والخبراء عملهم ووقعوا العقود . زيارة سريعة طار من ايطاليا الى مصر فى رحلة رجل اعمال سريعة اصطحب فيها زوجته وابنه هذه المره واحتفل مع شركاءة فى مصر بالافتتاح وعلى سجادة حمراء وقف السنيور لافى الشريك الايطالى وشعبان الحاوى عضو مجلس الشعب الذى يملك خمسة وعشرين بالمائة من اسهم الشركة وبقية الاعضاء ليقصوا شريط الافتتاح لمصنع "لافى سيراميكا" .

وفى اقل من عام كانت باكورة انتاج المصنع لتدخل هذه الصناعة مصر فتنتشر ويبدع المصريين فى التصميمات والرسوم . وجائت الارباح والمكاسب من الصناعة الجديدة اسرع واكبر مما كان يتصور لقد اصبح انتاج المصنع محجوزا لشهور واصبح يعمل طوال ٢٤ وعشرين ساعة لثلاث ورديات بضع الاف من العمال ومئات من الموظفين ومنافذ البيع . ماكينات تعمل ليل نهار وثروة تنمو ويتدفق شلالها وافرا عفيا ..

اعجب كريستينا كل شىء راته . كل شىء وقعت عيناها عليه ، كل تلك الاماكن التى قرر ان يستعيد ذاكرته برؤيتها . الاماكن التى عشقها وقضى فيها عمره . فى بحرى عند ابو العباسى المرسى بحث عن بائعى البليلة والفطير بالحليب وهناك عند قلعة قايتباى الفتيات يبعن عقود الفل لايمكنك ان تردها بعد ان يكونوا فى خفة قد وضعوها حول رقبتك ! ورائحة قناديل الذرة المشوى . رائحة السمان المشوى عند ذلك المحل العتيق على الناصيه ... قهوة فاروق .. جلسا شرب قهوة . استمعت بشغف حين حكى لها فى كلمات بسيطة انها تجلس الان فى المكان الى جلس فيه اخر ملوك مصر ..... وطلبت شيشه ..!

وهناك فى اقصى الشرق فى ابى قير وعلى وجبة سمك فى كوخ من البوص وكراس من جريد النخل وعلى شعاع شمس يهبط قرصها الاحمر المتوهج فى البحر تتخلل سحابات تحمل كل الالوان تعكس لوحة زاهية وجمالا يحكى بكل لسان

وهناك فى الاسكندرية وقعت كريستينا الايطالية فى الحب ... لقد وقعت فى غرام الاسكندرية .

---

(٣٥)

عشرة عجول ذبحها الجزارون على قارعة الطريق بعد فوز الحاج سعيد البحيرى بالانتخابات ليصبع عضوا فى مجلس الشعب . واجتمع الناس حوله اينما ذهب يتادونه تاره سيادة النائب وتارة ياحاج وتارة اخرى ياباشا . وعند المكتب الفاخر الكبير الذى استاجره الرجل ليكون مقره الانتخابى ثم بعد ذلك ليلبى احتياجات اهل دائرته لم يخل يوم من نسوة فقراء ينتظرن من الصباح الباكر ماكان يمنحهم اياه من مبالغ ماليه او اعانات شهرية او حلا لبعض مشاكلهن بل ايضا مواد غذائية معبأة جاهزة فى اكياس وغيرها . لقد اغدق الرجل على اهل دائرته فملك قلوبهم وارتفعت الاكف بالدعاء للحاج سعيد البحيرى رجل البر والاحسان .الرجل الذى اطعمهم وكساهم وحل كثيرا من مشاكلهم .

وتغيرت حياة الرجل واصبح ملء السمع والبصر يتكلم فيسمع لكلامه ويقول فينفذ قوله . وبذكاء فطرى عرف انه من الان فصاعدا وجب ان يحيط نفسه بجمع من العارفين بالامور دوما الذين يشترى خبرتهم ويأمن بهم من زلة او سوء تصرف اوقرار خاطىء فقد اصبح الان تحت الاضواء واى اضواء . لقد وجد المحامى والمستشار القانونى ورجل العلاقات العامة ، ومعلم الاتيكت واصول اللباقة . ومن يختار له الازياء والملابس . وحراسه الشخصيون ... وسماسرته الذين يتصيدون الفرص ويتخيرون مواضع الربح له .. واخيرا قبيصى ذلك الرجل الصعيدى الذى لم يفارق بوابه قصره فى برج العرب منذ اربعة عشر عاما ولو لمرة واحدة !

كثرت سفريات عضو مجلس الشعب مابين القاهرة والاسكندرية وكثرت غياباته عن بيته وزوجتة

انها مسئوليات واجتماعات وواجبات عضو فى مجلس الشعب . انها اللجان والوفود والممثلين والمرشحين والمنتدبين ووو .....انها عالم ودنيا جديدة وافق لاحد له . وياله من عالم !

وهنالك فى القاهرة بعيدا عن سعاد وعن اعين كثير ممن يعرفونه تزوج سعيد البحيرى امرأة اخرى ،كانت ارملة لواء سابق بالجيش . امراة مازالت تحتفظ برونق امراة فى ربعان خمسينها عرفت كيف تشاغله وتملك فكره . وجعلته يقرر هو انه فى حاجة الى امراة مثلها !

زوجة تناسب وضعة الاجتماعى الجديد وهذه المكانة التى قفز اليها . نعم انه فى حاجة الى امراة مثلها . كان قد اشترى لها منزلا كتبه باسمها فى الحى الراقى الجديد وابقى زواجه سرا او قل اطمئن الى ذلك فاين هو وسعاد التى زاد وزنها فلاتكاد تقوى على المشى .

****

(٣٦)

مازال مكتب المحاماه يعمل ولازالت هذه النخبة من المحامين النبهاء فى مكتب شعبان الحاوى تعمل لدية .. وفى اتصال هاتفى تبعته جلسة عمل كانت دنيا توقع بضعة اوراق كانت كلها عقود تمليك وبيع وشراء وتنازل ونقل ملكية كانت كلها لها من زوجها الدكتور خليل وقد كان على هذا المحامى فى مكتب ابراهيم الحاوى ان يسوى امر توثيق ذلك فى الشهر العقارى

كان الدكتور خليل كانما اعتزل الدنيا زاصبح صامتا معظم الوقت لايتحرك الا على كرسية يلتحف ببجامته الصوفية وكوفيته شتاءا وصيفا يجلس صامتا امام الفراندا الفسيحة يرقب الغادى والرائح بعد ان اصبح الشارع اكثر ازدحاما . ياتى ابنه الذى اصبح يافعا فلايكلف نفسه حتى القاء التحية على ابيه . فقط يجول بعينية ليرى جلسة ابيه المعتادة فيدلف الى حجرته ويغلق على نقسه . هوة سحيقة بين جيلين باعدت بينهما السنين واختلفت فيهما المشارب والتجارب . تساله الخادمة ان كان يود ان ياكل او يشرب شيئا فيجيبها دوما بلا قاطعة . لاتعرف امه الا مايود هو ان تعرفه عنه . غامضا كتوما قد يمر اليوم واليومان فلايرى فى البيت ويجتهدون ليعرفوا انه فى رحلة ما او فى مشروع ما تبع هذه الكلية الخاصة التى كان التحاقه بها امر احتاج لكثير من المجاملات والاتصالات واغداق المال ،كان الفتى منعزلا منطويا وان كان مجتهدا وناجحا قليل الصحاب لذلك كانت امه تتمكن دوما من تتبع اثره ومعرفة مكانه لقد احتفظت بتليفونات صديقيه المقربين . لكنها كاى ام كان يؤلمها هذا الشعور الذى اصبح يلازمها ، هذا البعد الذى يصل الى حد الجفا الذى اصبحت تراه فى تصرفات وحيدها .نعم انها سيدة اعمال ولاتجد متسعا من الوقت لتحيا حياة اسرية تمنح فيه وقتا لولدها وزوجها لكنها ترى ان عملها فى حد ذاته هو وقتها وحياتها التى تمنحها لزوجها الذى لايقوى على الحركة وابنها الذى يشب وينتظره مستقبل تريد ان تؤمنه له .ان ثلاثة ايام قضتهم مع زوجها وولدها فى احدى القرى السياحية كان حدثا استثنائيا لكنه لم يكن كافيا كان ابنها يعيش حياة ميسرة يملك بطاقة وحسابا بنكيا كانت تضع لهى فيه كل شهر مبلغا جيدا من المال يكفى للانفاق على اسرة ان هذه هو مصروفه وكانت كلما اعجبها فى ازياء الشباب جديد اشترته له وان كانت احيانا لاتجد

وقتا لتعطيه له فتتركة فى غرفته ثم تتصل به ربما بعدها باايام لتسأله عن راأيه فيما اشترته له . كانت احيانا تكاد تشتعل غيظا وحتقا عليه من ردوده الباهتة العادية . فهى كاى ام تود ان تسمع كلمات الثناء وعبارات الشكر فقط كلمات لكنها ترضى شيئا فى داخلها كلمات

فقط " روعة " "مفيش اجمل من كده " " وتسلم ايديكى ياست الحبايب " . لقد بكت بحرقة فى يوم عيد الام حين اهدتها اختها شالا حريريا فراحت اختهافى دهشة تحتضنها ولاتعرف سببا لبكائها !

صرخت فى وجهه حين ابلغها انه سيقضى سته اشهر منحة دراسية فى احدى المعاهد فى كندا وجن جنونها حين علمت منه انه اعد كل شىء حتى تذكرة الطيران حجزها قبلها بشهرين وكانما يقطع عليها اى سبيل للاعتراض او الرفض . حتى ابيه انزعج رغم انه لم يفعل مافعلته هى مما جعلها تلقى عليه باللائمة وتتهمه بان هذه طباعه وانه شبه ابيه فى تصرفاته وتكتمه .. وضاعت كل التفاصيل فى ثورة الغضب الجارفة التى انتبتها فلم تعرف اى منحة ولا كندا ولاسفر ..

وكانت كلما مرت الايام يتعصرها الم دفين تخاف ان يرحل فلايعود وتخاف من الرحيل ففيه شجون سته اشهر ! لكنها لاتثق فيه . تعرف صمته لكنها لاتعرف دواخله لاتعرف حقا . لاتعرف وحيدها . فقط تعرف انه له قلبا من حجر . وجناحان كطائر لايعرف له موطنا ..

وقفت عند باب البيت تتشبث به وتحتضنه وهو يتعجل الرحيل وقد قبل راس ابيه الذى اعطاه بعض اوراق تحمل عناوين وارقاما . وود الرجل من خلف نظارته السميكة بعيون تكاد تذرف دمعا ان يقول له شيئا او ان يساله سؤالا لكنه لم يفعل .

سيصحبه صديقة فى سيارته الصغيرة التى كان قد اشتراها منه منذ بضعة ايام ..

اذا لقد باع سيارته ايضا

ان صديقة محمود عبد العال لم يقل ابدا حين اتصلت به لتطمئن الى ان طائرته قد رحلت انه قد هاجر الى كندا وان ثمة فتاة صديقة له يراسلها و يعرفها منذ ستوات هى من سافر اليها .

مااسرع الايام ومأبطاها ! وما اشد الساعات وايسرها . ثقيلة تمر على بعضنا تدهسنا ،وحلوة سعيدة تمرق كالريح على بعضنا الاخر . لكنا فى النهاية تمر وتبقى على اطراف السنتنا وفى ثنايا صدورنا طعمها الذى لايفارقنا الا حين يوارينا الثرى . تبقى مشاعرنا الكامنة فى دواخلنا جزء منا لايفارقنا وان مرت السنين الطوال كجذوة نار كامنه يوقظ لهيبها اى ريح عابر او نسمات متسللة اوتكون كجزر نبات مازال حيا توقظ نباته و شجرتة ماء الحياة وريها .

(٣٧)

اغلق سعيد البحيرى عليه باب مكتبه فى ساعة قيلولة فى بيته فى برج العرب وقد طاب له ان يسترخى على الاريكة لكن هاتفا ناداه فقام الى خزنتة التى اخفيت بعناية فى ركن المكتب وكانما استفاق من رغبتة فى النوم . فاخرج من خزانته علبة فاخرة ملفوفة فى كيس بلاستيكى ، نظر حوله جيدا ثم راح فى هدوء يفض الكيس ويخرج العلبة الصغيرة . بعين كليلة بحث عن ذلك الزر الصغير ليقفز غطاء العلبة للاعلى ... تلتمع كتلة زجاجية بحجم حبة البندق بكل الوان الطيف على اطار فضى اللون لخاتم من الماس من اجمل مايكون .!

ابتسم فى سره وطاف بخياله شىء اسعده ثم اعاد كل شىء الى مكانه واستلقى على الاريكة وغط فى نوم عميق ..

وعلى شرفة تطل على خليج نابولى ونسمات شتوية تحمل انفاس برد يناير وقد جلس مصطفى وحيدا على احدى الترابيزات الكثيرة التى تحيط بها الكراسى الخالية فى هذا الوقت من عصر يوم وقد انتهى لتوه من احتساء فنجان كابتشينو جال بخاطره نسمات تنسمها منذ سنوات بعيده تصاعدت دقات قلبه وهو يستنشق هواء معبقا برائحة ملح ويود البحر الابيض المتوسط يجعل من نابولى الممتده امام عينية هى بحرى والمنشية التى غادرها منذ زمن بعيد لكنها باقية فيه .

اخرج صورتها المختبئة فى تلافيف وريقات فى محفظته ونظر اليها طويلا ...

الثالثة والنصف فى عصر يوم من ايام يناير كانت دنيا قد قررت ان تعود الى البيت مبكرة . لارغبة لديها فى العمل اليوم . اوصلها السائق الى البيت ووضع السيارة فى الجراج اسفل العمارة .

وجدث زوجها نائما على كرسيه . لم تشا ان توقظة !

احست بالنعاس التقطت من دولابها شيئا لترتدية طافت بعينها فى هذا الصف الطويل من ملابس متوعه الاشكال والالوان .. شيئا ما لفت انتباهها .. انه الثوب بهذا اللون . هذا اللون

كان يعجبه !

اخرجته ضمته على صدرها وقفت امام المراة تنظر اليه .. وتناهى الى مشاعرها شذا عطر . راحت تنظر الى الزجاجات الكثيرة المنثورة على السراحة امامها تبحث عن زجاجة عطر من زمن مضى فوجدت فيها شيئا باقيا يحمل عبقا ...كانت اخر مابقى ومازالت تحفظ مماشتراه لها من انيس انيس ..

توسعت الاسكندرية غربا زحفت القرى السياحية حتى بلفت مطروح على بعد اربعمائة كيلو تسابق اصحاب النفوذ واصحاب الاموال فى امتلاك مساحات من الارض الشاسعة التى راحت فى سنوات قليلة تتحول الى قرى سياحية وراحت تعج بالمصافين كل صيف . فعلى طول الساحل يمكنك ان ترى اما ارض مخصصة لقرية او قرية تبنى او اخرى يقطنها مصافين . كانت

تتنوع فى الشكل والمساحة وماتوفره من راحة ورفاهية واتسع العمران وتوفرت فرص عمل كثيرة .

ولم يكن شعبان الحاوى المحامى وعضو مجلس الشعب ليفوت فرصة كهذه وهو العارف صاحب النفوذ ولم يكن ليجازف وحده بمشروع يحتاج مالا وشركاء يكونوا له سندا وعونا ..

وفى احتفالية فى فيلا النائب شعبان الحاوى الفاخرة وعلى وقع انغام هادئة من سماعات انتشرت فى انحاء الحديقة الشاسعة توافد الشركاء والضيوف والمهنئين . كانت رائحة الشواء فى الركن القريب والمنضدة الطويلة التى حفلت بكل الاصناف مما لذ وطاب ووقف عليها الجرسونات بملابسهم البهيجة . وعند الركن الاخر منضدة عليها عدد كبير من كؤوس واكواب كريستالية تلتمع فى هذه الاضواء وخلف الجرسون الذى يرتدى البدلة والبوبيون ارتصت زجاجات خمر من كل لون وحجم وصنف .

استقبل صاحب الحفل ضيوفه المهمين لدى وصولهم وراح ينتقل بينهم يرحب بهذا ويجرى حوارا سريعا مع ذاك . ويعرف هذا بذاك

ولدى وصول شريكة الاول الحاج سعيد البحيرى عضو مجلس الشعب الرجل الذى يمثل احد اكبر الدوائر فى عاصمة البلاد الثانية سار به ليعرفه ب دنيا هانم سيدة الاعمال المعروفة والتى حرص على ان تكون شريكة له ضمن عدة شراكات ناجحة معها وردا لجميل وايضا اعجاب لايمكن اخفاؤه وبضع مشاركين اهمهم سنيور لافى رجل الاعمال الايطالى المصرى واحد اكبر الشركاء

والتقت العيون وامتدت الايدى لتصافح

نهاية الجزء الاول